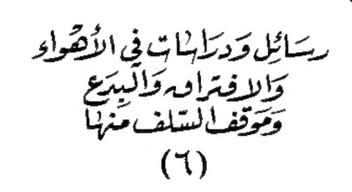



# الجهمية والمعتزلة

## نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديماً وحديثاً

تأليف
أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل

دار الوطن للنشر

# الجهمية والمعتزلة

نشأتهما وأصولهما ومناهجهما

وموقف السلف منهما قديماً وحديثاً

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار الوطن للنشر الرياض - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب: ٣٣١٠ - الرمز البريدي: ١١٤٧١

- البريد الالكتروني: pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الانترنت: www.dar-alwatan.com
- التوزيع بجمهورية مصر العربية ت: ٠١٠١٤٦٠٨٦١ محمول


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وقل رب زدني علما﴾

# المقدمـــة

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والقائل سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

والقائل: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١٠، ١١].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، القائل ﷺ: **«ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل»**[(١)]، وقال ﷺ: **«يكون أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه،**

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم، وحسَّنه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، الحديث رقم (٥٥٠٩).

**فلا يبقىٰ منه مفصل إلا دخله»**(١).

والقائل ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع. . .»**(٢) الحديث.

وبعــد:

فإن لكل فرقة من الفرق التي خرجت عن السنة نصيباً من هذه النصوص من الوقوع فيما نهىٰ الله عنه، وحذَّر منه الرسول ﷺ من مشاقة الرسول ﷺ، واتباع غير سبيل المؤمنين، واتباع المتشابه، وابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل، والجدال والمراء في الدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، والتخرص في الدين، والقول على الله بغير علم، واتباع الأهواء، واتباع طرائق الأمم الهالكة. فكل فرقة سلكت طرقاً من هذه المناهج من مقل أو مكثر.

ومن هذه الفرق: **الجهمية والمعتزلة**، وهما موضوع هذه الحلقة، وسبق إصدار حلقات عن الخوارج، والقدرية، والمرجئة.

**وقد جمعت بين الجهمية والمعتزلة في هذه الحلقة؛ لاتفاقهما في كثير من الأصول والمناهج والمنطلقات والمصادر، وتداخل مقالاتهما ورجالهما، فوجوه الاتفاق بينهما**

---

(١) كتاب السنة لابن أبي عاصم، الحديث رقم (١)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري في الفتح برقم (٣٤٥٦).

**أكثر من وجوه الاختلاف**، وذلك أن كلاًّ منهما تعدُّ من الفرق الكلامية الخالصة التي تعتمد على الأصول الفلسفية والعقلانية، والاعتماد على الرأي والأوهام والظنون والتخرصات في تقرير الدين والتلقي ومنهج الاستدلال.

كما أن كلاً من الجهمية والمعتزلة تقوم أصولهما على التعطيل والتأويل تجاه أسماء الله وصفاته وأفعاله والسمعيات وإن اختلفت التطبيقات.

**وتتفق الفرقتان في موقفهما من كلام الله تعالى عموماً والقرآن على جهة الخصوص ومن السنة (بالرد أو التأويل) ومن الصحابة، والسلف الصالح (بالسبِّ أو اللمز)**، ومن أظهر وجوه الشبه بين الفرقتين أن السلف وبخاصة في القرن الثالث وما بعده صاروا يطلقون على الجميع: الجهمية.

**ومع ذلك فإن بينهما بعض الفروق لعل من أبرزها ما يتعلق بالقدر والإيمان ومسائله**؛ فإن الجهمية جبرية خالصة ومرجئة خالصة، لا تفرق بين الإيمان والكفر، ولا بين المؤمن والكافر.

بينما المعتزلة قدرية خالصة تنفي أقدار الله في العباد أو بعضها، وتقول بخلود مرتكب الكبيرة في النار، ولذلك أنكرت الشفاعة، وتقول بما أسمته: المنزلة بين المنزلتين في حق الفاسق في الدنيا.

كما أن عموم أصحاب المقالات من الجهمية والمعتزلة قد يختلفون اختلافاً كبيراً في تفاصيل مقالاتهم، لكن مع ذلك تبقى الأصول والمناهج والأساليب متوافقة.

**وكذلك أثرهما السلبي على الأمة الإسلامية واحد، ومن ذلك: أنه لا تخلو فرقة من الفرق الأخرىٰ التي خرجت عن السنة والجماعة من تأثر بالجهمية والمعتزلة على حد سواء،** فقد قامت الفرق الكلامية التي نشأت بعد القرن الثالث، كالأشاعرة والماتريدية على بعض أصول الجهمية والمعتزلة في أكثر مناهجها التي خالفت فيها السنة. وكذلك دخلت مناهج الفرقتين على متأخرة الخوارج والرافضة وكثير من الصوفية وغيرهم.

وقد حرصت ـ كما هو منهجي في هذه الحلقات ـ على التركيز على ذكر الأصول والمناهج والسمات، ومواقف السلف وأحكامهم تجاه الفرقتين ومقالاتهما، دون الدخول في التفصيلات والردود المطولة التي تشوش على ذهن القارئ وتبعدنا من الغرض المقصود، وهو كشف مناهج الباطل والتحذير منها لتستبين سبيل المجرمين.

لذلك جعلتُ العرضَ ـ غالباً ـ بأسلوب شرعي يتضمن الردَّ والنصحَ والتحذيرَ كما هو منهج القرآن والسنة والسلف الصالح.

ولا يفوتني في نهاية هذا العرض أن أنبِّـه على أن التجهمَ والاعتزالَ من المناهج الباقية إلى يومنا هذا من خلال أصول الفرق كالرافضة والخوارج، ومن خلال تَوَجُّهَات جماعية، كما لدى حزب التحرير وأكثر الاتجاهات العصرانية والعقلانية المعاصرة، ومن خلال تَوَجُّهات فردية؛ كما لدى كثير من المفكرين والمثقفين والأدباء المعاصرين كذلك. وهذا ما سأشير إلى شيء منه من خلال هذه الحلقة وحلقات قادمة إن شاء الله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. ولا حول ولا قوة إلا بالله هو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على البشير النذير، والسراج المنير، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبـه

**ناصر بن عبدالكريم العقل**

٢١ / ١١ / ١٤٢٠هـ

* * *

# الجهمية

## نشأتها وأصولها ومناهجها
## وموقف السلف منها قديماً وحديثاً

# الجهميــــة

**تعريف الجهمية:**

للجهمية اصطلاحاً ثلاثةُ إطلاقات:

**الإطلاق الأول على الجهمية الأولى وهم المعطلة النفاة،** الذين ينكرون أسماء الله وصفاته وأفعاله، وينكرون السمعيات كالرؤية، والصراط والميزان والحوض، ويردون النصوص المتعلقة بذلك أو يؤولونها، ويقولون بالإرجاء والجبر الخالصين، أي الغلاة في ذلك.

وهؤلاء إنما سموا بالجهمية نسبة للجهم بن صفوان المعطل المقتول سنة (١٢٨هـ) مؤسس هذه المقالات.

**قال عبدالله بن المبارك:** «وإنما سموا الجهمية؛ لأن جهم بن صفوان كان أول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية، وهم صنف من العجم كانوا بناحية خراسان، وكانوا شككوه في دينه وفي ربِّه حتى ترك الصلاة أربعين يوماً لا يصلي، فقال: لا أصلي لمن لا أعرف، ثم اشتق هذا الكلام»[1].

---

(١) الإبانة (١/ ٣٨١).

**الإطلاق الثاني: إطلاق الجهمية على كل الفرق الكلامية التي تعتمد في تقرير العقيدة ومنهج الاستدلال على علم الكلام والقواعد العقلانية والفلسفية والرأي؛** كالمعتزلة والكلابية، والأشاعرة والماتريدية، وكذلك الزيدية والرافضة والخوارج المتأخرين، ومن سلك سبيلهم.

**الإطلاق الثالث: إطلاق الجهمية على كل من قال بقول من أقوال الجهمية أو استخدم مناهجهم،** كمن يؤول الصفات أو بعضها، أو يقول بأن القرآن مخلوق، أو ينكر الرؤية، أو الشفاعة، أو شيء من السمعيات، أو نحو ذلك. فكل من فعل ذلك قال فيه السلف: جهمي، كما أن إطلاقَ الجهمية قد يشمل كلَّ من بالغ في نفي التشبيه مع نفي الصفات أو بعضها[1].

**من تعني الجهمية عند السلف؟**

كان السلف في القرن الثاني يميزون أحياناً بين المعتزلة والجهمية، وأحياناً يطلقون التجهم على الجميع، وفي القرن الثالث وبعده صار السلف يصفون كلَّ مَنْ قال بأصل من أصول الجهمية: جهمي، كالقول بخلق القرآن، أو إنكار الرؤية، أو إنكار الكلام، أو نفي الصفات، أو تأويلها، أو أنكر شيئاً من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥/ ١١٠) و(١٢/ ١١٩)، وانظر: «الجهمية والمعتزلة» للدكتور يوسف السعيد (١/ ٤٤) مطبوع بالآلة الكاتبة.

النصوص الشرعية الثابتة في ذلك، حتى وإن انتسب للسنة وأهل الحديث، فضلاً عن أن يكون رافضياً أو شيعياً، أو معتزلياً، أو كلابياً، أو أشعرياً، أو ماتريدياً، أو طرقياً، أو فيلسوفاً، أو غيرهم.

**نماذج من المقالات التي أطلق السلف على مَنْ قالها «جهمي»:**

في القرن الثالث وما بعده، لما انتشرت أقوال الجهمية وأصولها بين سائر الفرق، صار السلف يطلقون وصف التجهم على كل من وافق الجهمية في قول من أقوالهم، أو وافقهم في مناهج في التعطيل والتأويل ورد النصوص. والاعتماد على العقليات والفلسفات في تقرير التوحيد ومسائل الدين، نعم كان السلف يطلقون على كل من فعل ذلك جهمياً أيًّا كان انتماؤه حتى وإن انتسب لأهل الحديث والسنة. **وإليك نماذج من ذلك:**

* من أنكر أسماء الله وصفاته أو أفعاله أو شيئاً منها أو أوَّلها، أو شيئاً منها فهو جهمي.
* من توقف في إثبات الأسماء والصفات والأفعال لله تعالى كما جاءت في القرآن والسنة فهو جهمي.
* من فوَّض في أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله ـ أي لم يثبتها على حقيقتها كما يليق بالله تعالى ـ وإن لم ينفها فهو جهمي.
* من أنكر شيئاً من السمعيات الأخرى أو أوَّلها كالصراط

والميزان والحوض والشفاعة فهو جهمي.

* من ردَّ شيئاً من النصوص الشرعية الثابتة أو أوَّلها ـ في العقيدة والغيبيات ـ فهو جهمي.
* من ردَّ دلالة خبر الآحاد الثابت في العقيدة أو غيرها فهو جهمي.
* من قدَّم دلالة العقل على دلالة الشرع، أو حكم الأولى من الثانية، أو زعم أن دلالة العقل قطعية ودلالة الشرع ظنية فهو جهمي.
* من بالغ في نفي التشبيه مع الميل لنفي الصفات أو بعضها أو تأويلها أو بعضها فهو جهمي.
* من أنكر كلام الله تعالى فهو جهمي.
* من قال: القرآن مخلوق فهو جهمي. وكذلك من قال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، فهو جهمي عند بعض السلف.
* من أنكر أن الله تعالى تكلم بالقرآن بحرف وصوت كما يليق بجلاله تعالى، فهو جهمي.
* من أنكر استواء الله تعالى على عرشه أو أوَّله فهو جهمي.
* من أنكر علوَّ الله تعالى وفوقيته بذاته على خلقه أو أوَّلها فهو جهمي.
* من أنكر رؤية الخلائق لربِّهم تعالى في المحشر، أو أنكر رؤية المؤمنين لربِّهم في الجنة بأبصارهم فهو جهمي.

* من أنكر أيَّ نوع من أنواع الشفاعة الثابتة في الشرع فهو جهمي.
* من قال بالإرجاء الخالص والجبر الخالص أو أحدهما ـ وهما متلازمان ـ فهو جهمي.

**أصناف الجهمية عند السلف:**

كما أنه من خلال الاستقراء، ومن خلال عرض شيخ الإسلام ابن تيمية يمكن تقسيم الجهمية إلى ثلاثة أصناف[١]:

**الصنف الأول: الجهمية الخالصة:** وهي التي تنفي الأسماء والصفات لله مطلقاً (تعالى الله عما يزعمون) أو تزعم أن ذلك مجازات لا حقيقة لها، وتقول بالجبر الخالص والإرجاء الخالص.

**الصنف الثاني: الجهمية المعتزلة:** وهي التي تنفي الصفات وتقر بأسماء الله تعالى في الإجمال.

**الصنف الثالث: جهمية أهل الكلام من الصفاتية:** وهم الأشاعرة والماتريدية والكلابية ومن سلك سبيلهم، الذين تأوَّلوا أكثر صفات الله تعالى على منهج الجهمية.

**نماذج من أقوال السلف في تفسير الجهمية والتجهم:**

روى الدارقطني بسنده عن وكيع قوله: «من رأيتموه ينكر

---

(١) انظر: «الجهمية والمعتزلة» للدكتور يوسف السعيد (١/٤٦) مطبوع بالآلة الكاتبة.

**هذه الأحاديث ـ يعني أحاديث الرؤية ونحوها ـ فاحسبوه من الجهمية»[١].**

فمن وافق الجهمية ببعض قولهم أطلقوا عليه جهميًّا من هذا الوجه، ولو لم يكن جهميًّا خالصاً.

**قال شيخ الإسلام:** «ومن المعلوم أنهم إنما أرادوا بذلك افتراقهم في مسألة القرآن خاصة، وإلا فكثير من هؤلاء يثبت الصفات والرؤية والاستواء على العرش، وجعلوه من الجهمية في بعض المسائل، أي أنه وافق الجهمية فيها ليتبين ضعف قوله، لا أنه مثل الجهمية، ولا أن حكمه حكمهم، فإن هذا لا يقوله من يعرف ما يقول، ولهذا عامة كلام أحمد إنما هو يجهم اللفظية لا يكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية، وقد نسب إلى هذا القول غير واحد من المعروفين بالسنة والحديث كالحسين الكرابيسي، ونعيم بن حماد الخزاعي، والبويطي، والحارث المحاسبي، ومن الناس من نسب إليه البخاري»[٢].

**فعلى هذا يشمل اسم الجهمية: أتباع جهم، والمعتزلة، والزيدية، والرافضة، والأباضية، ومتكلمة الأشاعرة، والكلابية، والماتريدية ومن سلك سبيلهم.**

---

(١) انظر: كتاب الصفات للدارقطني (٤١).

(٢) الفتاوى (١٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧).

ونجد هذا جليًا عند الإمام أحمد، فإنه يطلق كلمةَ جهمي على كلِّ من أوَّل أو فوَّض أو توقف، أو شكَّ فيما ضلت به الجهمية، وإن لم يكن جهميًا خالصاً، وإن لم يحكم عليه بأحكام الجهمية من حيث الكفر ولوازمه.

**قال شيخ الإسلام**: «فإن السلف كانوا يسمون كلَّ من نفى الصفات وقال إن القرآن مخلوق، وإن الله لا يُرى في الآخرة جهميًا، فإن «جهماً» أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات، وبالغ في نفي ذلك، فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه، وإن كان الجعد بن درهم قد سبقه إلى بعض ذلك»[١].

**وقال شيخ الإسلام أيضًا**: «وكان أحمد بن أبي دؤاد قد جمع له نفاة الصفات القائلين بخلق القرآن من جميع الطوائف، فجمع له مثل أبي عيسى محمد بن عيسى برغوث، ومن أكابر النجارية أصحاب حسين النجار، وأئمة السنة ـ كابن المبارك، وأحمد بن إسحاق، والبخاري وغيرهم ـ يسمون جميع هؤلاء جهمية، وصار كثير من المتأخرين من أصحاب أحمد وغيرهم يظنون أن خصومه كانوا المعتزلة، ويظنون أن بشر بن غياث المريسي ـ وإن كان مات قبل محنة أحمد وابن أبي دؤاد ونحوهما ـ كانوا معتزلة وليسوا كذلك، بل المعتزلة كانوا نوعاً

---

(١) الفتاوى (١٢/ ١١٩).

من جملة من يقول القرآن مخلوق، وكانت الجهمية أتباع جهم، والنجارية أتباع حسين النجار، والضرارية أتباع ضرار بن عمرو، والمعتزلة هؤلاء، يقولون: القرآن مخلوق، وبسط هذا له موضع آخر»[1].

والإمام أحمد سمَّى منكري الحرف والصوت في كلام الله تعالى (جهمية).

**قال شيخ الإسلام:** «ولما ظهر هؤلاء ظهر حينئذٍ من المنتسبين إلى إثبات الصفات من يقول: إن الله لم يتكلم بصوت، فأنكر أحمد ذلك، وجَهَّم من يقوله، وقال: هؤلاء الزنادقة إنما يدورون على التعطيل، وروى الآثار في أن الله يتكلم بصوت، وكذلك أنكر على من يقول: إن الحروف مخلوقة، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة: قلت لأبي: إن هاهنا من يقول: إن الله لا يتكلم بصوت، فقال: يا بني، هؤلاء جهمية زنادقة، إنما يدورون على التعطيل، وذكر الآثار في خلاف قولهم»[2].

**نشأة الجهمية وأصولها الأولى:**

بدأت نزعات التجهم في آخر القرن الأول ضمن مقولات القدرية الأولى التي ظهرت على يد معبد الجهني ت(٨٠هـ)

(١) الفتاوى (١٤/٣٥٢).
(٢) الفتاوى (١٢/٣٦٨).

وغيلان الدمشقي ت(١٠٥هـ) وكانت سمات التجهم عند غيلان واضحة مثل: رد النصوص ومعارضتها بالشبهات العقلية.

لكن كانت هذه النزعات مجرد بذور مهدت لظهور الجهمية فيما يبدو والله أعلم.

**وأصول الجهمية ترجع إلى مصادر شتى أهمها**[(١)]:

١ ـ اليهودية.

٢ ـ الفلاسفة الصابئة المشركون.

٣ ـ الفلاسفة الدهرية السمنية.

**أما الجهمية وأصولها الأولى فإنما ظهرت في أول القرن الثاني ممثلة بالمقولات التي قال بها الجعد بن درهم، وهو من تلامذة الفلاسفة الصابئة الحرانية، والمانوية الفلاسفة المجوس،** حين أنكر بعض الصفات لله تعالى كالخلة والتكليم، ثم أخذ الجهم بن صفوان عن الجعد هذه المقولات وتوسع فيها وزاد عليها، وناظر وجادل، واتصل بالفلاسفة السمنية وأخذ عنهم.

**قال شيخ الإسلام:** «ولكن لما ابتدعت الجهمية القول بنفي الصفات في آخر الدولة الأموية، ويقال: إن أول من ابتدع ذلك هو الجعد بن درهم معلِّم مروان بن محمد آخر خلفاء بني

---

(١) راجع الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام (٤٦، ٤٧) وما بعدها، ومنهاج السنة له (١/ ٣٠٩ و٢/ ١٩٢)، والصفدية (٢/ ١٦٦)، والفتاوى (٤/ ١١٩، ١٢٠).

أمية، وكان هذا الجعد من حرَّان، وكان فيها أئمة الصابئة والفلاسفة»[١].

وذلك في أواخر عصر التابعين ـ من أوائل المائة الثانية ـ حيث حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات، وكان أول من أظهر ذلك الجعد بن درهم.

«ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان، ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة»[٢].

**وقال**: «والجهم بن صفوان أخذ مذهبه عن الجعد بن درهم، وكان الجعد هذا من أهل حرَّان، وإليه يُنسب مروانُ الجعدي آخرُ خلفاءِ بني أمية، وكان بحرّان أئمة الفلاسفة الصابئة القائلين بقدم العالم وتعطيل الصفات، وعنهم أخذ تحقيق ذلك أبو نصر الفارابي لما دخل حرَّان، وكان الجعد ـ فيما يقال ـ أخذ تعطيل الصفات عنهم، ولهذا أنكر كلام الله ومحبة الله، فلا يكون له كليم ولا خليل»[٣].

**وقال**: «لكن لما ظهرت الجهمية النفاة في أوائل المائة الثانية بيَّن علماءُ المسلمين خطأَهم وضلالَهم، ثم ظهر رَعَنةُ[٤]

---

(١) منهاج السنة (٢/ ١٩٢).

(٢) انظر: منهاج السنة (١/ ٣٠٩).

(٣) الصفدية (٢/ ١٦٦).

(٤) من الرعونة وهي الغلظة والجلافة والحمق. انظر: مختار الصحاح مادة (رعن) ويقصد بهم الذين أظهروا بدع الجهمية وألزموا بها الناس وامتحنوا العلماء.

الجهمية في أوائل المائة الثالثة»[١].

**وقال**: «وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات، وفي الجبر والإرجاء في أواخر دولة بني أمية بعد حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم»[٢].

**سبب ظهور الجهمية وأقوالهم:**

مبدأ حدوث التعطيل في الإسلام من مناظرة الجهمية للسمنية الفلاسفة الملحدة الدهرية، كما ذكر الإمام أحمد وغيره في مناظرة جهم للسمنية، واتصال الجعد بالفلاسفة الصابئة، ثم مناظرة المعتزلة لفلاسفة الروم والفرس وغيرهم من أهل الكتاب والمجوس والصابئة[٣].

وما صاحب ذلك من ظهور طائفة من أهل الجدل والكلام والمراء، الذين لم يأخذوا العلم عن أهله، ولا تفقهوا في دين الله، ولم يقتدوا بالأئمة العلماء، ولم يهتدوا بهديهم، ومن وجود زنادقة وحاقدين على الإسلام وأهله اندسوا خلال هذه الطوائف.

**إسهام الزنادقة في نشر مذهب جهم:**

أسهم الزنادقة المنافقون في نشر مذهب الجهمية، لما اشتمل عليه من أصول ومقالات فاسدة.

---

(١) الفتاوى (٦/ ٢٢٢).
(٢) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).
(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٠١) (الهنيدي).

قال شيخ الإسلام: «ومبدأ التجهم كان من الزنادقة المنافقين»(١).

**١- الجعد بن درهم المقتول سنة (١٢٤هـ) تقريباً وقيل: سنة(١١٨هـ) هو المؤسس الأول لمذهب الجهمية، ثم تلاه الجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ).**

فإن مقالات الجهمية الأولى (التعطيل) أول ما ظهرت على لسان الجعد بن درهم، ثم تلاه بوقت قصير الجهم بن صفوان وتوسع فيها وأشهرها وجادل فيها.

**يقول ابن القيم:** «فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي، ومع هذا كانوا قليلين أولاً، مقموعين مذمومين عند الأئمة، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء؛ لأنه كان معلِّم مروان بن محمد وشيخه، ولهذا كان يسمى مروان الجعدي، وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد، ومزَّقهم كل ممزق، ببركة شيخ المعطلة النفاة، فلما اشتهر أمره في المسلمين طلبه خالد بن عبدالله القسري»(٢) ثم قتله لإصراره على بدعته الشنيعة.

**وقال الذهبي في ترجمة الجعد:** «مؤدب مروان بن محمد الحمار، ولهذا يقال: مروان الجعدي، كان الجعد أول من تفوَّه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٣١) (أحمد معاذ).

(٢) الصواعق (٣/ ١٠٧٠، ١٠٧١).

بأن الله لا يتكلم، وقد هرب من الشام، ويقال: إن الجهم بن صفوان أخذ عنه مقالة خلق القرآن، وأصله من حران، فبلغنا عن عقيل بن معقل بن منبه قال: وقف الجعد على وهب بن منبه فجعل يسأله عن الصفة فقال: يا جعد، ويلك أَنْقِصْ المسألة، إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك، وأن له عيناً ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب. قال أبوالحسن المدائني: كان الجعد زنديقاً»[١].

وعلى هذا فالجعد بن درهم هو مؤسس المقولات الأولى للجهمية قبل الجهم.

وبهذا تكون مقولات الجهمية الأولى سابقة للجهم بن صفوان الذي سميت الجهمية باسمه، ذلك أن الأصول والبدع والمقولات التي انطلق منها الجهم سبقه بها شيخه الجعد. إنما سميت باسم الجهم لأنه أشهرها وتوسع فيها، ودعا إليها وأفصح عن أكثرها، وزاد عليها بأكثر مما فعل الجعد.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان»[٢].

وعليه فإن الجعد هو (مؤسس مذهب الجهمية).

---

(١) تاريخ الإسلام (١٠٠ ـ ١٢٠) (٣٣٧، ٣٣٨).

(٢) الفتاوى (٨/ ١٤٢).

**أصول الجهمية الأولى التي قال بها الجعد:**

مقالات الجعد وأصوله تقوم على التعطيل والنفي لصفات الله تعالى وأهمها:

**١ ـ نزعة التعطيل والشك في الصفات:**

**قال أبوعثمان الصابوني**: «وروى يونس بن عبدالصمد بن معقل عن أبيه أن الجعد بن درهم قدم على وهب بن منبه يسأله عن صفات الله تعالى، فقال: ويلك يا جعد، بعض المسألة إني لأظنك من الهالكين. يا جعد! لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً وعيناً ووجهاً لما قلت ذلك، فاتق الله، ثم لم يلبث جعد أن قُتل وصُلب»(١).

**٢ ـ إنكار كلام الله تعالى:**

مقولة إنكار كلام الله تعالى هي بذرة التعطيل والتجهم وأول من فتقها في الإسلام الجعد بن درهم، ولما ظهر قال الإمام الزهري: «ليس الجعدي من أمة محمد ﷺ»(٢).

فأخذه منه جهم بن صفوان فبسطه وتوسع فيه ودعا إليه الرجال، وامرأته (زهرة) تدعو إليه النساء(٣). فقد أنكر الجعد

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٥).

(٢) ذم الكلام (٢٧٥)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٤، ٢٥٥)، ت(رشيد).

(٣) انظر: ذم الكلام للهروي (٤٣٧). وانظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٤، =

أن الله كلَّم موسى تكليماً.

**٣ ـ القول بخلق القرآن:**

ذكر اللالكائي عن عبدالرحمن بن أبي حاتم: «سمعت أبي يقول: أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم، وقاله في سنة نيف وعشرين ومائة»(١).

**٤ ـ إنكار المحبة والخلة:**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: «أول من أنكر المحبة والخلة الجعد بن درهم»(٢).

فكما أنكر الجعد أن الله كلَّم موسى تكليماً، فقد أنكر أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً.

**وقال شيخ الإسلام أيضاً**: «وأول من أنكر حقيقة محبة الله لعبده، والعبد لربه في الإسلام هو الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن عبدالله القسري»(٣).

**وقال**: «وكان الجعد هذا أول من ظهر عنه التعطيل بإنكار صفات الله تعالى وبإنكار محبته وتكليمه»(٤).

---

= ٢٥٥)، رشيد الألمعي.
(١) الشرح، اللالكائي (٣/ ٤٢٥).
(٢) الفتاوى (٢/ ٣٥٤ و٦/ ٤٧٦).
(٣) الصفدية (٢/ ٢٦٣).
(٤) المرجع السابق.

**وقال في تقرير المحبة**: «وهذه المحبة على حقيقتها ـ أي تثبت لله تعالى ـ عند سلف الأمة وأئمتها ومشايخها، وأول من أنكر حقيقتها شيخ الجهمية الجعد بن درهم»(١).

**٥ ـ إنكار الاستواء:**

فقد زعم الجعد أن الله تعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى (استولى)(٢).

وهذه المقولة امتدت إلى الجهمية والمعتزلة ثم استقرت عند الماتريدية والأشاعرة ـ أعني تأويل الاستواء وإنكار حقيقته وأنه بمعنى استولى أو نحوها ـ فالأشاعرة والماتريدية إلى اليوم على مذهب الجعد ـ أعني مَنْ بعد الجويني والرازي ـ أما الأوائل: الأشعري وتلاميذه، فهم مقرون بالاستواء على قريب من مذهب السلف، كما سأذكره إن شاء الله عند عرض مذاهبهم.

وهذه المقولة ـ أعني إنكار الاستواء ـ من قبل الجعد والجهم هي التي جعلت الإمام الأوزاعي يقول: «كنا والتابعون متوافرون نقول: **إن الله تعالى فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفات الله**»(٣).

---

(١) الفتاوى (٦/٤٧٦).
(٢) انظر: الفتاوى (٥/٢٠).
(٣) تذكرة الحفاظ (١/١٢٨).

**قال الذهبي حين ساق إسناد هذا القول:** «هذا إسناد صحيح»[١].

**مصادر الجعد بن درهم:**

أخذ الجعد مقولاته عن الصابئة الفلاسفة أهل حرَّان، ويقوم أصلهم على تعطيل الصفات والقول بقدم العالم[٢]، فلذلك يعد الجعد أول من عرف عنه في الإسلام إنكار أن الله يتكلم، وأن الله يحبُّ عباده، وأنكر أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً أو كلَّم موسى تكليماً[٣]، وكل هذه المقولات نتجت عن اعتقاده بتعطيل الصفات التي أخذها عن فلاسفة الصابئة أهل حران.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حُفِظَ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ـ أعني أن الله تعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك ـ هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: الصفدية (٢/٦٦)، وانظر: الفتاوى (٥/٢١ ـ ٢٣)، ومنهاج السنة (٢/١٩٢).

(٣) انظر: الفتاوى (٨/٣٥٧).

فنسبت مقالة الجهمية إليه»[١]، ثم ذكر مصادر الجعد.

وأخذ الجعد أيضًا عن المجوسية (المانوية) أو المنانية كما يسميها ابن النديم، لذلك ذكره ابن النديم من رؤساء المنانية، فقال تحت عنوان: «أسماءُ وذِكْرُ رؤساء المنانية في دولة بني العباس وقبل ذلك»: «كان الجعد بن درهم الذي ينسب إليه مروان بن محمد، فيقال: مروان الجعدي، وكان مؤدباً له ولولده، فأدخله في الزندقة، وقتل الجعدَ هشامُ بن عبدالملك في خلافته، بعد أن أطال حبسه في يد خالد بن عبدالله القسري، فيقال: إن آل الجعد رفعوا قصة إلى هشام يشكون ضعفَهم وطولَ حبس الجعد، فقال هشام: أهو حيٌّ بعد؟! وكتب إلى خالد في قتله، فقتله يوم أضحى»[٢].

**موقف السلف من بدع الجعد و(الحكم بقتله):**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «ولهذا كان أول من أظهر إنكار التكليم والمخالة «الجعدَ بن درهم» في أوائل المائة الثانية، وأمر علماء الإسلام كالحسن البصري وغيره بقتله، فضحَّى به خالد بن عبدالله القسري أمير العراق بواسط، فقال: أيها الناس، ضحوا تقبَّل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلِّم

---

(١) الفتاوى (٥/ ٢٠).

(٢) الفهرست لابن النديم (٤٧٢).

موسى تكليماً ـ تعالى الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا ـ ثم نزل فذبحه، وأخذ ذلك عنه «الجهم بن صفوان» فأنكر أن يكون الله يتكلم، ثم نافق المسلمين فأقرّ بلفظ الكلام، وقال: كلام يخلق في محل كالهواء وورق الشجر»[١].

**٢ـ والجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ) هو المؤسس الثاني للجهمية:**

ويعدُّ الجهم من رءوس البدع الكبار في تاريخ الإسلام، قال فيه الذهبي: «أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي، الكاتب المتكلم أسُّ الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، كتب للأمير حارث بن سُريج التميمي، وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها، قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلاً في التجسيم، وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب وإن تلفظ بالكفر. قيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم لإنكاره أن الله كلَّم موسى»[٢].

**وقال:** «المتكلم الضال رأس الجهمية وأساس البدعة. كان ذا أدب ونظر وذكاء وفكر وجدال ومراء»[٣].

---

(١) الفتاوى (١٢/٢٦، ٢٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/٢٦، ٢٧).

(٣) تاريخ الإسلام (١٢١ ـ ١٤٠/٦٦).

**قلت**: وهذه السمات كثيرة عند كثير من المعاصرين من الأدباء والمثقفين، والأدباء والمثقفون إذا لم يكن لدى أحدهم فقه في الدين، فإنه لا يسلم ـ غالباً ـ من التعالي والغرور، والخوض في المسائل الشرعية والقول على الله بغير علم.

**قال**: «وكان الجهم ينكر صفات الرب ـ عز وجل ـ وينزهه بزعمه عن الصفات كلها، ويقول بخلق القرآن، ويزعم أن الله ليس على العرش، بل في كل مكان»[1].

«فقيل: كان يبطن الزندقة والله أعلم بحقيقته»[2].

وذكر الذهبي عن ابن منده بسنده عن أحمد بن حنبل قال: قال لنا علي بن عاصم: ذهبت إلى محمد بن سوقة فقال: هاهنا رجل قد بلغني أنه لم يصلِّ فمررت معه إليه فقال: يا جهم ما هذا؟ بلغني أنك لا تصلي، قال: نعم، قال: مُذْ كَمْ؟ قال: مذ تسعة وثلاثين يوماً، واليوم أربعين. قال: فلم لا تصلي؟ قال: حتى يتبين لي لمن أصلي. قال: فجهد به ابن سوقة أن يرجع، أو أن يتوب، أو يقلع، فلم يفعل، فذهب إلى الوالي فأخذه فضرب عنقه وصلبه..»[3].

**قال الذهبي**: «قلت: فكان الناس في عافية وسلامة فطرة

---

(١) تاريخ الإسلام (١٢١ ـ ١٤٠/٦٦، ٦٧، ٦٨).

(٢) تاريخ الإسلام (١٢١ ـ ١٤٠/٦٦).

(٣) تاريخ الإسلام (١٢١ ـ ١٤٠/٦٦ ـ ٦٧).

حتى نبغ جهم فتكلم في الباري تعالى وفي صفاته بخلاف ما أتت به الرسل وأنزلت به الكتب»[١].

وقال **خلف بن سليمان** : «كان جهم على معبر ترمذ، وكان رجلاً كوفي الأصل، فصيح اللسان، لم يكن له علم، ولا مجالسة لأهل العلم، كان تكلم كلام المتكلمين. وكلمه السمنية»[٢].

وذُكر عن هشام بن عبدالملك أن الجهم: «رجل من الدهرية من الزنادقة وأمر بقتله»[٣].

**ومن أهم ما يستدعي التوقف في حياة هذا الرجل ما قاله اللالكائي وغيره، ومنه:**

١ ـ ما قيل من أنه ترك الصلاة أربعين يوماً على وجه الشك، ثم خرج بعدها بمقولاته الفاسدة، وذلك بعد مناظرته للسمنية[٤].

٢ ـ قيل: إنه حين قال بخلق القرآن طلبه بنو أمية لقتله فاستتابوه فتاب[٥]، أي أنه أظهر التوبة خوفاً من السيف،

---

(١) تاريخ الإسلام (١٢١ ـ ١٤٠/ ٦٨).

(٢) اللالكائي (٢/ ٣٨١). وقوله: وكلمه السمنية يعني أنهم حاوروه وتحدثوا معه وتأثر بمقالاتهم، كما تفسره الآثار التالية، والله أعلم.

(٣) اللالكائي (٢/ ٣٨١).

(٤) انظر: شرح السنة للالكائي (٣/ ٣٣٨).

(٥) انظر: شرح السنة للالكائي (٣/ ٣٧٩، ٣٨٠).

ثم عاد إلى بدعته، ونشط في نشرها.

٣ ـ أنه لما أظهر قوله هذا، أي أن القرآن مخلوق تعاظم العلماء ذلك وأنكروه[١].

٤ ـ أنه كان فصيحاً ولم يكن عنده علم، فلقيه ناس من الفلاسفة السمنية فكلَّموه وقالوا له: صِفْ لنا مَنْ تعبد؟ فطلب أن يؤجِّلوه فأجَّلوه فلما خرج إليهم قال: هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء[٢]، أي أنه خرج بتصور إلحادي فاسد يتضمن القول بالحلول وإنكار ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته.

٥ ـ وصف العلماء له بأنه ليس عنده علم، ولا مجالسة لأهل العلم[٣]، وصف له مغزى. فتأمل رحمك الله فإن أغلب هذا الصنف من الأذكياء المغرورين، يظن أنه بذكائه وعبقريته يصل إلى أعلى من درجة الراسخين في العلم في تقرير أمور الدين، ويقيس علوم الشرع ومسائل الاعتقاد على المعارف البشرية والعلوم الإنسانية، فيخلط ويخبط بعقله وهواه، ويخدع الناس ويلبس عليهم. كما هو حال كثيرٍ من المفكرين المعاصرين الذين ليس لديهم رسوخ في

---

(١) انظر: شرح السنة للالكائي (٣/ ٣٨٠).

(٢) انظر: شرح السنة للالكائي (٣/ ٣٨٠).

(٣) السابق (٣/ ٣٠١).

العلم الشرعي، ولا اقتداء ولا اهتداء بالراسخين.

**زوجة الجهم تدعو إلى مذهبه:**

ذكر الهروي أن الجهم لما أخذ مذهب الجعد بسطه «وأخذ يدعو إليه الرجال، وزوجته (زهرة) تدعو إليه النساء»[١] حتى فُتن بهم خلقٌ كثيرٌ.

**أصول الجهم بن صفوان كما ذكرها الإمام أحمد:**

**قال الإمام أحمد في «الرد على الجهمية والزنادقة» بعدما ذكر قصة ضلال الجهم:** «ووجد ثلاث آيات من المتشابه: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ٤٢]. ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]. ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فبنى أصل كلامه كله على هذه الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذَّب بأحاديث رسول الله ﷺ، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدث عنه رسوله، كان كافراً، وكان من المشبهة، فأضلَّ بكلامه بشراً كثيرًا، وتبعه على قوله رجالٌ من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية، فإذا سألهم الناس عن قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع كما

---

(١) انظر: ذم الكلام للهروي (٤٣٧).

هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا يفعل ولا له غاية، ولا له منتهى، ولا يُدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ولا أسفل، ولا نواحي ولا جوانب، ولا يمين ولا شمال، ولا هو خفيف ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم، وليس هو بمعلوم ولا معقول، وكلما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه»[١] اهـ.

**قلت**: وفي كلام الجهم هذا الكثير من التلبيس وخلط الحق بالباطل، فمثلاً قوله: «**ولا ينظر إليه أحد في الدنيا**» حق، لكنه حين عمم الحكم على نفي الرؤية في الآخرة ضلَّ وخالف صريح القرآن والسنة والإجماع. وكذلك قوله: «**وكلما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه**» له وجه من الحق؛ لأن الله ليس كمثله شيء، لكنه حين جعل من ذلك نفي الصفات الثابتة في القرآن والسنة ضلَّ وخالف صريح القرآن والسنة والإجماع.

أما ما ذكره من السلبيات والنفي المطلق، فهذا يعني أن

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (١٠٤، ١٠٥).

الله عنده ليس بشيء، ولا تنطبق هذه السلوب التي ذكرها عنه الإمام أحمد إلا على المعدوم، كما ذكر السلف أنه يريد أن يصل إلى أن الله ليس بشيء، وأنه ليس هناك إلا الوجود المطلق، ومطلق الوجود كما يزعم الفلاسفة الملاحدة.

**أصول جهم ومقالاته كما ذكرها الأشعري:**

قال:

١ ـ «الذي تفرد به «جهم» القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان.

٢ ـ وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط.

**قلت**: وهذا هو أصل قول المرجئة الغُلاة.

٣ ـ وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس اللهُ ـ سبحانه! ـ إلا أنه خلق للإنسان قوةً كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً بذلك، كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولوناً كان به متلوناً.

**قلت**: وهذا هو أصل قول الجبرية الغلاة.

٤ ـ وكان «جهم» ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**قلت**: وهذا على منهج أهل الأهواء، فالجهم وأمثاله يعنون بالأمر بالمعروف الدعوة إلى بدعتهم، وبالنهي عن

المنكر الصد عن السنة والخروج على الولاة.

وقتل «جهم» بمرو، قتله سلم بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية.

٥ ـ ويُحكى عنه أنه كان يقول: لا أقول إن الله ـ سبحانه ـ شيء؛ لأن ذلك تشبيه له بالأشياء.

٦ ـ وكان يقول: إن علم الله ـ سبحانه ـ محدث، فيما يُحكى عنه.

٧ ـ ويقول بخلق القرآن.

٨ ـ وأنه لا يقال: إن الله لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون[1].

**ثم قال الأشعري:** «فقال جهم بن صفوان: لمقدورات الله تعالى ومعلوماته غاية ونهاية ولأفعاله آخر، وإن الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلهما حتى يكون الله سبحانه آخراً لا شيء معه كما كان أولاً لا شيء معه»[2].

**مجمل مقولات الجهم بن صفوان كما ذكرها الملطي[3]:**

١ ـ أنكر جهم أن يكون الله تعالى مستوياً على العرش.

٢ ـ أنكر جهم أن يكون لله كرسي.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٣٣٨).

(٢) مقالات الإسلاميين (١/٢٤٤).

(٣) انظر: التنبيه والرد (١١١ ـ ١٤٠).

٣ ـ أنكر جهم أن يكون الله في السماء دون الأرض.

٤ ـ أنكر جهم الميزان.

٥ ـ أنكر جهم ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الانفطار: ١٠، ١١].

٦ ـ أنكر جهم أن يكون لله جل وعلا حجاب.

٧ ـ أنكر جهم أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا.

٨ ـ أنكر جهم النظر إلى الله تعالى.

٩ ـ أنكر جهم أن يكون لله سمع وبصر.

١٠ ـ أنكر جهم أن ملك الموت يقبض الأرواح.

١١ ـ أنكر جهم عذاب القبر ومنكر ونكير.

١٢ ـ أنكر جهم أن الله يتكلم.

١٣ ـ أنكر جهم أن الله كلَّم موسى تكليماً.

١٤ ـ أنكر جهم أن الله استوى إلى السماء.

١٥ ـ أنكر جهم الشفاعة، وأن قوماً يخرجون من النار.

١٦ ـ أنكر جهم أن يكون لله يد.

١٧ ـ أنكر جهم أن يكون الله خلق الجنة والنار.

١٨ ـ وزعم أن الجنة والنار تفنيان.

**مجمل ما ذكره البغدادي عن مقالات الجهم[١]:**

١ ـ يقول بالجبر.

٢ ـ يقول بنفي الاستطاعات كلها.

---

(١) انظر: الملل والنحل للبغدادي (١/٨٦ ـ ٨٨).

٣ ـ يرى إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (بغير مفهوم السنة).

٤ ـ يرى الخروج على السلطان بالسلاح (وكثر أتباعه بترمذ ونواحيها).

٥ ـ يزعم أن الجنة والنار تفنيان.

٦ ـ يزعم أن الإيمان هو المعرفة، والكفر هو الجهل.

٧ ـ يزعم أن الناس تضاف إليهم الأفعال على المجاز.

٨ ـ يزعم أن علم الله محدث.

٩ ـ وقال: لا أقول إن الله شيء، ولا أنه لا شيء.

١٠ ـ وأنه لا يصف الله بصفة وصف بها غيره.

وكفرته المعتزلة في نفي الاستطاعة وقوله بخلق الله لأفعال العباد.

**وقد أجمل شيخ الإسلام أهم مقولات الجهم وأصوله، وهي:**

١ ـ **الجبر والإرجاء**: قال: «فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر»، ثم قال: «وأول من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان وأتباعه، فحُكي عنهم أنهم قالوا: إن العبد مجبور، وأنه لا فعل له أصلاً، وليس بقادر أصلاً»[1].

---

(١) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).

وقال: «وكان يقول: العباد مجبورون على أفعالهم ليس لهم فعل ولا اختيار»[١].

**وقال**: «وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات، وفي الجبر والإرجاء في أواخر دولة بني أمية بعد حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم»[٢].

٢ ـ **التعطيل**: أي إنكار أسماء الله وصفاته والقول بأنها مجاز. قال: «وكان الجهم غالياً في تعطيل الصفات، فكان ينفي أن يسمَّى الله تعالى باسم يسمى به العبد، فلا يسمى شيئاً، ولا حيًّا، ولا عالماً، ولا سميعاً، ولا بصيراً، إلا على وجه المجاز»[٣].

٣ ـ **إنكار الحكمة والرحمة لله تعالى**: قال: «وكان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه وأمره، وأن يكون له رحمة، ويقولون: إنما فعل بمحض مشيئة لا رحمة معها، وحكي عنه أنه كان ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين»[٤].

**منشأ أقوال الجهم من خراسان:**

**قال شيخ الإسلام**: «كما أن التجهم وتعطيل الصفات لما

---

(١) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).
(٢) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).
(٣) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).
(٤) الفتاوى (٨/ ٤٦٠).

كان ابتداء حدوثه من خراسان كثر من علماء خراسان ذلك الوقت ـ الإنكار على الجهمية ما لم يوجد قط لمن لم تكن هذه البدعة في بلده ولا سمع بها، كما جاء في حديث: «**إن لله عند كل بدعة يُكادُ بها الإسلامُ وأهلُه مَنْ يتكلم بعلامات الإسلام، فاغتنموا تلك المجالس، فإن الرحمة تنزل على أهلها**» أو كما قال[١].

**٣ ـ بشر المريسي (ت٢١٨هـ) الرأس الثالثة للجهمية:**

آراء بشر المريسي ومقالاته ومنهجه في التأويل تمثل المرحلة الثالثة من مراحل الجهمية وأطوارها بعد الجعد والجهم؛ لأن المريسي نهج نهجاً أكثر تلبيساً وتمويهاً وخبثاً من أسلافه، حيث كان منهجُ كلٍّ من الجعد والجهم يصادم النصوص بعنف، أما المريسي فقد سلك مسلك التأويل وعرض مذهب الجهمية بأسلوب ماكر، ولديه شيء من العلم والفقه يلبس به على الناس، وقد تصدى له طائفة من الأئمة فردُّوا عليه وبيَّنوا خطورةَ مسلكه[٢].

**قال الذهبي**: «كان بشر من كبار الفقهاء، أخذ عن

---

(١) الفتاوى (٧/ ٣١١) والحديث رواه العقيلي في الضعفاء (٢٦٣) وأبونعيم في أخبار أصبهان (١/ ٣٢٢) والهروي في ذم الكلام (٤/ ٨٠/ ٢) وذكر الألباني في الضعيفة رقم (٨٦٩) أنه موضوع.

(٢) انظر: رد الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد.

القاضي أبي يوسف، وروى عن حماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، ونظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرّد القول بخلق القرآن ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم وكفَّره عدةٌ، ولم يدرك جهم بن صفوان، بل تلقف مقالاته من أتباعه»[١].

وقال **أبو النضر بن القاسم**: «كان والد بشر يهودياً»[٢].

وقال **الذهبي**: «وكان جهمياً له قدرٌ عند الدولة، وكان يشرب النبيذ»[٣].

وقال **المروزي**: «سمعت أبا عبدالله وذكر المريسي فقال: كان أبوه يهودياً، أيّ شيءٍ تراه يكون؟!»[٤].

وقال **الذهبي أيضاً**: «وكان رأس الجهمية»[٥].

وكان أبو يوسف يقول له: «ويحك دع هذا الكلام، فكأني بك مقطوع اليدين والرجلين مصلوباً على هذا الجسر»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩ ـ ٢٠١)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩ ـ ٢٠١)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩ ـ ٢٠١)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩ ـ ٢٠١)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٣).
(٥) تاريخ الإسلام (٢١١ ـ ٢٢٠/ ٨٦).
(٦) شرح السنة (٣/ ٣١٣)، وانظر تاريخ بغداد (٧/ ٦٥، ٦٦).

**قلت**: والأصول والمناهج التي سلكها المريسي أصول ومناهج كفرية ناسفة تقوم على التلبيس والخداع اللفظي، وقد كفَّره الأئمة، كسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وعباد بن العوام، وعلي بن عاصم، ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح، وأبوالنضر، وشبابه، والأسود بن عامر، ويزيد بن هارون، وبشر بن الوليد، والطبّاع، وسليمان بن حسان الشامي، وعبدالرزاق بن همام، وأبوقتادة الحراني، وابن الماجشون، والفريابي، والفضل بن دكين، والقعنبي، وبشر بن الحارث، ومحمد بن مصعب، وأبوالبختري، ووهب بن وهب، والحميدي، وابن المديني وغيرهم(١).

**وذلك أن بشر المريسي هذا قد توسع في باب التأويلات، وصرف النصوص، وخاض فيها أكثر ممن سبقه من الجهمية؛ لأن أسلافه كانوا يردون النصوص ويكذبونها ولا يؤولون إلا ما لا يمكنهم دفعه، أما هو فقد توسع في بابُ التأويلات حتى صارت تأويلاته نهجاً لكثير من المتكلمين** كابن فورك والبغدادي والشهرستاني والجويني والرازي والماتريدي، وأتباع هؤلاء من متأخري الأشاعرة والماتريدية، ولذلك أطلق متأخرو السلف على هؤلاء (الجهمية) لأنهم سلكوا مسلك المريسي الجهمي

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤) ت (البريدي).

في تأويل الصفات.

**يقول الدارمي في ردِّه على المريسي ومن تابعه مبيِّناً منهجهم في التأويل**: «. . . ثم أجمل المعارض جميع ما ينكرُ الجهمية من صفات الله وذاته المسماة في كتابه؛ وفي آثار رسول الله ﷺ، فعدَّ منها بضعاً وثلاثين صفة نسقاً واحداً؛ يحكم عليها ويفسرها بما حكم المريسي وفسرها وتأولها حرفاً حرفاً؛ خلاف ما عنى الله؛ وخلاف ما تأولها الفقهاء الصالحون، لا يعتمد في أكثرها إلا على المريسي.

فبدأ منها بالوجه، ثم السمع والبصر، والغضب والرضا، والحب والبغض، والفرح والكره، والضحك والعجب، والسخط، والإرادة والمشيئة، والأصابع والكف والقدمين.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، و﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، و«خلقت آدم بيدي. . .»، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، و﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ

حَوْلَهُۥ﴾ [غافر: ٧]، و﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، و﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، و﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

عمد المعارض إلى هذه الصفات والآيات فنسقها ونظم بعضها إلى بعض، كما نظمها شيئاً بعد شيء، ثم فرقها أبواباً في كتابه، وتلطف بردِّها بالتأويل كتلطف الجهمية، معتمداً منها على تفاسير الزائغ الجهمي بشر بن غياث المريسي دون من سواه، مستتراً عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بها ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا مثال»[١].

وعلى هذا المنهج سارت الفرق الكلامية: الأشاعرة والماتريدية، ويتمثل هذا بما فعله الرازي في أساس التقديس.

ومن الفرق التي أخذت بمذهب الجهمية: النجارية، والضرارية، والبرغوثية.

### انتحال بعض الجهمية لمذهب أبي حنيفة:

يلاحظ أن كثيرين ممن تولوا كبرهم من الجهمية في القول بخلق القرآن أيام المأمون وبعده، من أتباع أبي حنيفة، كبشر

---

(١) رد الدارمي (٢١).

المريسي وابن أبي دؤاد، وقد نسبوا مقالتهم لأبي حنيفة، وساعدهم حفيده إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة[١]، مع العلم أن أبا حنيفة لم يقل بهذا القول ولا تلامذته الأولون، كأبي يوسف ومحمد وزفر، بل المشهور عنهم ذم الكلام والتأويل وأهله، غير أنا نجد من بعض أهل الحديث الأحناف من يميل إلى بعض تأويلات الجهمية لنصوص الصفات، كابن الثلجي، والماتريدي، ولعل سبب ذلك تأصل سمة القول بالرأي، والتمادي في العقليات لدى بعض الأحناف. والله أعلم.

**٤ ـ ومن رءوس الجهمية أحمد بن أبي دؤاد:**

وهو قاضي المأمون ووزيره وكذلك المعتصم والواثق، وهو الذي زيَّن لهم الفتنة بامتحان الناس وحملهم على القول بخلق القرآن.

**٥ ـ المأمون نصر مذهب الجهمية وحمل الناس على القول بخلق القرآن:**

في عهد المأمون ظهرت البدع والأهواء، ومنها الجهمية حين انتصر لها بالقوة وحمل الناس على القول بخلق القرآن.

**قال ابن القيم**: «ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رمي بها، والناس إذ ذاك عنق واحد: أن الله فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، موصوف بصفات الكمال ونعوت

---

(١) انظر: التنكيل (١/ ١٨).

الجلال، وأنه كلَّم عبده ورسوله موسى تكليماً، وتجلَّى للجبل فجعله دكاً هشيماً إلى أن جاء أول المائة الثالثة، وولي على الناس عبدالله المأمون، وكان يحب أنواع العلوم، وكان مجلسه عامراً بأنواع المتكلمين في العلوم، فغلب عليه حبُّ المعقولات، فأمر بتعريب كتب يونان، وأقدم لها المترجمين من البلاد، فعربت له، واشتغل بها الناس، والملك سوق ما سوق فيه جلب إليه، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل، فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه فقبلها، واستحسنها، ودعا الناس إليها، وعاقبهم عليها، فلم تطل مدته، فصار الأمر بعده إلى المعتصم، وهو الذي ضرب الإمام أحمد بن حنبل، فقام بالدعوة بعده، والجهمية تصوِّب فِعْلَه، وتدعوه إليه، وتخبره أن ذلك هو تنزيه الرب عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، وهم الذين قد غلبوا على قُرْبِهِ، ومجلسه، والقضاة والولاة منهم، فإنهم تبع لملوكهم، ومع هذا فلم يكونوا يتجاسرون على إلغاء النصوص»[1].

**الأطوار والمراحل التي مرَّ بها مذهب الجهمية[2]:**

**الطور الأول:** سبق أن أشرت إلى أن مذهب الجهمية يبدأ

---

(١) الصواعق (٣/ ١٠٧٢).

(٢) انظر: الفتاوى (٥/ ٢١ ـ ٢٣) (باختصار).

ببدع الجعد بن درهم، حين أعلن نفي أن يكون الله تعالى كلَّم موسى تكليماً، وزعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً، فأنكر عليه السلف هذه المقالة الشنيعة. قيل: وكان ذلك في أول القرن الثاني الهجري، حيث قُتل الجعد بسبب بدعته هذه حوالي سنة (١٢٤هـ).

وكان الجعد من أهل حران ـ فيما قيل ـ وكان فيهم خلق كثير من الفلاسفة الصابئة، ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب تعالى: أنه ليس له إلا صفات سلبية، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة على الراجح.

**الطور الثاني:** يتمثل في إعلان الجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨) لهذه البدع التي قال بها الجعد، وزاد عليها الجهم حيث نفى جميع الأسماء والصفات لله تعالى، وقد أعلن الجهم هذه البدع ـ فيما ذكره الإمام أحمد وغيره ـ لمَّا ناظر السُّمنية من الفلاسفة الملاحدة، والزموه بإلزامات وهمية؛ لأنه ناظرهم عن جهل بأصول الكتاب والسنة والوحي. كما أعلن الجهم القول بالجبر والإرجاء الغالي.

**الطور الثالث:** وهو طور اكتمال أصول الجهمية وانتشارها، وذلك في حدود المائة الثالثة: حيث انتشرت هذه المقالة بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته، وبسبب تعريب كتب الديانات والفلسفات الرومية واليونانية والفارسية والصابئية، وذلك في

عهد المأمون، وكذلك بسبب تمكن الجهمية والمعتزلة من الدولة في عهد المأمون وبعض الخلفاء بعده.

**الطور الرابع:** طور انحسار الجهمية، وتفرق تركتها الخبيثة بين الفرق، فقد انسابت أصول الجهمية إلى سائر الفرق، فالتأويلات التي قال بها كبار متكلمة الأشاعرة كابن فورك، والبغدادي والجويني والرازي امتداد لهذا الاتجاه، وكذلك الماتريدي وأتباعه، وكثير من أصول الصوفية في التعطيل والجبر والإرجاء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود امتداد للجهمية، كما أن الرافضة أخذت بأكثر أصول الجهمية في الصفات، وكذلك الخوارج الإباضية.

**مجمل أصول الجهمية ومناهجها وسماتها:**

١ ـ علمنا أن أوَّل من تكلَّم بمقولات الجهمية الجعد بن درهم، وعنه أخذ الجهم بن صفوان الذي سميت به الجهمية؛ لأنه توسع فيها ونشرها وجادل فيها وناظر.

٢ ـ مقولات الجهمية وأصولها مستمدة من الصابئة الفلاسفة المشركين أهل حران، فإن أصلهم يقوم على تعطيل الصفات والقول بقدم العالم. وكذلك السمنية الدهرية[١].

ومن فلسفات الأمم الضالة ودياناتها التي دخلت على

---

(١) انظر: الفتاوى (٥/٢١، ٢٣)، والصفدية (٢/٦٦)، ومنهاج السنة (٢/١٩٢).

المسلمين من خلال تعريب الكتب الأجنبية إضافة إلى النزعات والأهواء الشخصية لرءوس الجهمية والمعتزلة.

**٣ ـ قامت أسس الجهمية في أول نشأتها على المبادئ التي أعلنها الجعد والجهم وهي:**

أ ـ التعطيل والتأويل والشك في الصفات[١] وتفرع عنه:

ب ـ إنكار كلام الله تعالى عموماً، وتكليم الله تعالى لموسى خصوصاً[٢]، وتفرع عنه:

جـ ـ القول بخلق القرآن[٣]، وأن القرآن ليس كلام الله حقيقة.

د ـ إنكار المحبة والخلة عموماً، وتفرع عنه: إنكار أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً على وجه الخصوص[٤].

هـ ـ إنكار الاستواء، أو تأويله بمعنى الاستيلاء[٥]، وتفرع عنه: إنكار العلو والفوقية لله تعالى.

و ـ الإرجاء الخالص: وهو القول بأن الإيمان هو المعرفة فقط.

---

(١) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٥).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٤، ٢٥٥)، (رشيد الألمعي) وذم الكلام للهروي.

(٣) انظر: الشرح للالكائي (٣/ ٣٨٢).

(٤) انظر: الفتاوى (٢/ ٣٥٤) (٦/ ٤٧٦)، والصفدية (٢/ ٢٦٣).

(٥) انظر: الفتاوى (٥/ ٢٠).

ز ـ الجبر، فالجهمية جبرية خالصة، وأول من قال بالجبر الغالي الجهم بن صفوان بترمذ[١].

ح ـ إنكار السمعيات، كالصراط والميزان، والحوض والشفاعة.

**مصادر الجهمية ومناهجها في التلقي والاستدلال:**

**أ ـ مصادرهم ومناهجهم في التلقي:**

تتلخص مصادر الجهمية في تلقي الدين وتقرير العقيدة بما يلي:

**أولاً: المصادر الأجنبية**: حيث استمدت الجهمية كثيراً من أصولها ومناهجها من الفلاسفة؛ فلاسفة الصابئة، والبراهمة والسمنية وفلاسفة اليونان والرومان وأصحاب الديانات من الصابئة والمجوس واليهود والنصارى والمشركين وغيرهم.

**ثانياً: المصادر الشخصية**: وهي اعتماد العقليات والظنون والأوهام الشخصية، واتباع الهوى ووساوس الشياطين.

**قال شيخ الإسلام** بعد أن بيَّن أن أصل نفي الصفات والتعطيل إنما كان مذهب الفلاسفة الصابئة، والبراهمة المشركين واليهود: «وهذا المذهب الذي يسميه السلف قول جهم؛ لأنه أول من أظهره في الإسلام، وقد بيَّنت إسناده فيه

---

(١) انظر: الفتاوى (١٣/٤٧).

في غير هذا الموضع: أنه متلقى من الصابئة الفلاسفة والمشركين البراهمة، واليهود السحرة»[١].

**وقال**: «إن مذهب الجهمية هو من جنس دين الصابئة المبدلين»[٢]، يعني في الصفات والسمعيات.

**وقال**: «والجعد بن درهم كان من أتباعهم، وعلماء هؤلاء هم المتفلسفة، ولهذا لما دخلت المعتزلة في دين الجهمية، اتبعوا هؤلاء الصابئة الفلاسفة في مواضع كثيرة، كما قيل: المعتزلة مخانيث الفلاسفة»[٣].

«وأيضًا كذلك هم مع المجوس في باب القدر والأفعال، فإنهم شركوا المجوس في تشبيه أفعال الله تعالى بأفعال الواحد من الآدميين، ووضعوا له شريعة بالقياس على أنفسهم»[٤].

**من مصادر الجهمية (مذهب الدهرية السمنية):**

أخذ الجهم مذهبه في التعطيل (نفي الأسماء والصفات) وسائر أصوله عن السمنية الدهرية الفلاسفة الملاحدة.

**يقول الملطي**: «وإنما سموا جهمية؛ لأن الجهم بن صفوان كان أول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية، صنف

---

(١) الفتاوى (٦/ ٥١).
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥٠) (اليحيى).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥١، ٥٥٢) (اليحيى).
(٤) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥١، ٥٥٢) (اليحيى).

من العجم بناحية خراسان، وكانوا شكَّكُوه في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يوماً، وقال: لا أصلي لمن لا أعرفه، ثم اشتق هذا الكلام، وبنى عليه من بعده»[(١)].

**ومن مصادر التلقي عند الجهمية التلقي عن الصابئة والنصارى:**

فإن تعطيل صفات الرب إنما هو مأخوذ عن الصابئة، وأمثالهم من الأمم التي اعتمدت على أقوال الفلاسفة خصوم التوحيد والأنبياء.

**قال شيخ الإسلام عن جهمية الاتحادية الفلاسفة:** «وكان هؤلاء الاتحادية في الأصل جهمية، وأنه بما فيهم من النصرانية المشاركة للصابئة صار بينهم وبين الصابئة نسب، صار معبودهم وإلههم هو الوجود المطلق، وزعموا أن ذلك هو الله»[(٢)].

**وقال:** «ولهذا يوجد في متعبدة الجهمية من الاتحادية وغيرهم منهم شبه كثير، حتى قد رأيت من هؤلاء الاتحادية من أخذ كلام النصارى النسطورية يزنه بكلامهم، حتى إن من النصارى من يأخذ فصوص الحكم لابن عربي فيعظمه تعظيماً

---

(١) التنبيه والرد (٩٩).
(٢) الفتاوى (٢/ ٩١، ٩٢).

شديداً»[١].

**وقال:** «ولهذا يوجد في شيوخ الاتحادية موالين للنصارى، ولعلهم يوالونهم أكثر من المسلمين»[٢].

**الجهمية بنوا قولهم بالتعطيل ونفي الصفات على قاعدة الفلاسفة الصابئة المكذبين للرسل:**

ذلك أن فلاسفة الصابئة لا يثبتوا لله تعالى الصفات، إنما يصفونه بما يوصف به المعدوم من السلبيات والإضافات التي لا تدل على الكمال ولا على الإثبات.

**قال شيخ الإسلام عن منهج الجهمية ومن سايرهم من أهل الكلام:** «وبنوا ذلك على قاعدة مبتدعة الصابئين المكذبين ببعض ما جاءت به الرسل، الذين لا يصفون الربَّ إلا بالصفات السلبية أو الإضافية أو المركبة منهما، وهم في هذا التعطيل موافقون في الحقيقة لفرعون رئيس الكفار، الذي جحد الصانع بالكلية، فإن جحود صفاته مستلزم لجحود ذاته، ولهذا وافقوا فرعون في تكذيبه لموسى بأن ربَّه فوق السموات، حيث قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[٣] [غافر: ٣٦، ٣٧].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٣٧٨) (أحمد معاذ حقي).

(٢) السابق (١/٣٧٨).

(٣) الفتاوى (١٢/٣٥١).

**وقال:** «فلما كان الكفار بالرسالة على ما ذكر جاء من الكفار ببعضها من شاركهم في بعض ذلك، فأنكرت الجهمية أن يكون الله يتكلم أو يقول أو يحب أو يبغض، وأنكروا سائر صفاته التي جاءت بها الرسل، فأنكروا بعض حقيقة الرسالة التي هي كلام الله، وأنكروا بعض ما في الرسالة من صفات الله، وأول من أظهر ذلك في الإسلام ـ وإن كان ذلك موجوداً قبل الإسلام في أمم أخرى ـ الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان، وكان على ما قيل من أهل حران، وكان فيهم أئمة الفلاسفة، ومنهم تعلَّم أبو نصر الفارابي كثيراً من الفلسفة على ما ذكره عبداللطيف بن يوسف البغدادي، فضحَّى بالجعد خالد بن عبدالله القسري بواسط، على عهد علماء التابعين وغيرهم من علماء المسلمين، وهم بقايا التابعين في وقته مثل الحسن البصري وغيره الذين حمدوه على ما فعل وشكروا ذلك»[1].

**أصول الجهمية وأتباعهم أهل الكلام مبناها على العقليات المنافية للشرع:**

أساس الجهمية وأهل الكلام الذين بنوا عليه عقائدهم الفاسدة هو أوهام العقول وظنونها، وهو ما يسمونه البراهين العقلية التي عارضوا بها النصوص الشرعية، وجادلوا بها في

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٣٥٠).

أسماء الله وصفاته وسائر السمعيات بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

**يقول شيخ الإسلام:** «وأصل قول الجهمية هو نفي الصفات بما يزعمونه من دعوى العقليات التي عارضوا بها النصوص، إذ كان العقل الصريح الذي يستحق أن تسمى قضاياه عقليات موافقاً للنصوص لا مخالفاً لها، ولما كان قد شاع في عرف الناس أن قول الجهمية مبناه على النفي صار الشعراء ينظمون هذا المعنى، كقول أبي تمام:

**جهمية الأوصاف إلا أنهم قد لقَّبوها جوهر الأشياء**

**فهؤلاء ارتكبوا أربع عظائم:**

**أحدها:** ردُّهم لنصوص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام.

**والثاني:** ردُّهم ما يوافق ذلك من معقول العقلاء.

**والثالث:** جعل ما خالف ذلك من أقوالهم المجملة أو الباطلة هي أصول الدين.

**والرابع:** تكفيرهم أو تفسيقهم، أو تخطئتهم لمن خالف هذه الأقوال المبتدعة المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول»[1].

---

(١) درء التعارض (١/ ٢٧٦).

**ب ـ مناهج الجهمية في الاستدلال:**

تقوم مناهج الجهمية البدعية في الاستدلال على الأصول التالية:

**١ ـ رد النصوص أو تأويلها:**

مذهب الجهمية يتصادم مع النصوص الشرعية، ولذلك صار منهجهم تجاه النصوص يقوم على أمرين:

أ ـ **إما التأويل**، ويواجهون به آيات القرآن التي تناقض أصولهم الفاسدة.

ب ـ **وإما التكذيب**، وهو ما يواجهون به الأحاديث التي تعارض أصولهم الفاسدة، كأحاديث الصفات والشفاعة والرؤية، فإن الجهمية تردها وإن كانت متواترة.

**قال شيخ الإسلام**: «وقيل عن بعض رءوس الجهمية ـ إما بشر المريسي، أو غيره ـ أنه قال: ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن، فأقِرُّوا به في الظاهر، ثم صرّفوه بالتأويل، ويقال إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل.

ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه، خلافاً لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه»[١].

---

(١) درء التعارض (٥/٢١٧، ٢١٨).

**٢ ـ القول بالمجاز في صفات الله تعالى والسمعيات:**

لكن متأخري الجهمية وضعوا أصولاً جديدة لردِّ دلالة النصوص، وهي:

**( أ ) القول بالمجاز في نصوص الصفات وغيرها مما ينكرونه**، وهذا مسلك للتعطيل فيه تلبيس وخداع، كما أنه يبعدهم عن الشناعة التي واجهوها من عامة المسلمين؛ لأن القول بالمجاز ليس فيه إنكار مباشر، وقد لا يدرك خطورته إلا أهل العلم وطلابه.

**٣ ـ (ب) رد أخبار الآحاد و دعوى أنها لا يحتج بها في العقائد.**

**٤ ـ (جـ) الطعن في الأسانيد مهما كانت صحيحة لتسلم لهم عقائدهم.**

**٥ ـ ( د ) التفويض والتوقف هروباً من الإثبات.**

ويتمثل هذا المسلك في منهج ابن الخطيب الرازي، كما أعلـن هـذه المبـادئ والأصـول الجهميـة فـي كتـاب أسـاس التقديس.

**٦ ـ تبديل الجهمية لكلام الله تعالى:**

بلغ الأمر بغلاة الجهمية أنهم لا يطيقون إظهار النصوص التي تناقض أصولهم الفاسدة مثل بعض آيات الصفات والرؤية والشفاعة.

**يقول شيخ الإسلام:** «وكان أولئك الجهمية المعطلة قد بلغ من تبديلهم للدين أنهم كانوا يكتبون على ستور الكعبة «ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم» ولا يقولون: «وهو السميع البصير» وأنهم كانوا يمتحنون الناس بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فإذا قالوا: وهو السميع البصير، أنكروا عليهم. ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل»[١].

**٧ ـ ومن ذلك: ظنهم أن ما جاء به النبي ﷺ في العقيدة من المتشابه:**

**قال شيخ الإسلام:** «وأما أولئك ـ كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم وكالفلاسفة ـ فيجعلون ما ابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتباعه، وإن لم يكن معهم من الأنبياء والكتاب والسنة ما يوافقه، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء وإن كان صريحاً قد يُعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه، ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للأنبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن أسباط وعبدالله بن المبارك وغيرهما كطائفة من أصحاب أحمد: إن الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة.

---

(١) الفتاوى (١١/٤٧٩).

قالوا: وأصولها أربعة: الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والقدرية»(١).

٨ ـ **الجهمية النفاة يفترون على الله الكذب:**

فالجهمية حين اعتقدوا أموراً باطلة توهموا أنها الحق، فنسبوها إلى الله، كما ذكر الله تعالى عن كفار أهل الكتاب وعن أهل الجاهلية والمشركين، قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣] وقال: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

**قال شيخ الإسلام:** «والجهمية النفاة كلهم مفترون كما قال الإمام أحمد بن حنبل، إنما يقودون قولهم إلى فرية على الله، وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله، فإن القائلين بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن يقول إنه يحلُّ فيه، وهؤلاء يجهلون من يقول بالحلول أو يقول بالاتحاد، وهو أن الخالق اتحد مع المخلوق، فإن هذا إنما يكون إذا كان شيئان متباينان ثم اتحد أحدهما بالآخر، كما يقوله النصارى من اتحاد اللاهوت مع الناسوت، وهذا إنما يقال في شيء معين»(٢).

* * *

---

(١) الفتاوى (١٣/١٤٣).
(٢) الفتاوى (١٣/١٩٦).

# مقالات الجهمية ومناهجهم في تقرير التوحيد وسائر مسائل العقيدة

**١- مفهوم التوحيد عند الجهمية:**

توحيد الله بأسمائه وصفاته يتمثل بإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ. والجهمية عكسوا مفهوم هذا التوحيد، إذ هو عندهم التعطيل ونفي الصفات والرؤية وكلام الله تعالى وعلوه واستوائه على عرشه.

وهذا النوع من التجهم قدر مشترك بين جميع الفرق الكلامية من الجهمية الخالصة، والجهمية المؤولة (المريسية) والمعتزلة منكرة الصفات، ومتكلمة الأشاعرة، والماتريدية مؤولة الصفات.

لذلك هم كلهم يسمون من أثبت ما أثبته الله ورسوله (مشبهاً ومجسماً). فالسلف عندهم: الصحابة والتابعون وأئمة الهدى أعلام السنة أهل الحديث مجسمة ومشبهة! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

**قال شيخ الإسلام:** «ثم إن الجهمية من المعتزلة وغيرهم أدرجوا نفي الصفات في مسمى التوحيد، فصار من قال: إن لله علماً أو قدرة أو أنه يُرى في الآخرة، أو أن القرآن كلام الله

منزل غير مخلوق؛ يقولون: إنه مشبه غير موحد»[١].

«وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة، فنفوا أسماءه الحسنى»[٢].

**٢ ـ الجهمية والمعتزلة هم أول من ابتدع الكلام في الأعراض والأجسام والجواهر:**

أول من تكلم في الأعراض والأجسام والجواهر في مسائل العقيدة الجهمية ومن تابعهم من المعتزلة[٣]، واستمدوا هذه الأصول من الفلاسفة خصوم الأنبياء، وأعداء الدين.

ثم صار منهجاً لسائر الفرق الكلامية فيما بعد كالأشاعرة والماتريدية؛ فإنهم يقررون عقائدهم في الله تعالى (صفاته وأفعاله) بهذه الطريقة المبتدعة التي أخذتها الجهمية من الفلاسفة الكفار. وتبعاً لذلك فإن الجهمية أيضاً:

**٣ ـ هم أول من ابتدع الاستدلال على حدوث العالم بطريق الجسم والعرض:**

وقد أخذتها الجهمية عن الفلاسفة كذلك، وجعلتها من وسائل تقرير التوحيد بزعمهم، وقد نهج هذه الطريقة المعتزلة، ثم ورثها أهل الكلام الذين جاءوا بعد، وهم متكلمة الأشاعرة،

---

(١) الفتاوى (٣/ ٩٩).
(٢) الفتاوى (٣/ ١٠٠).
(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥٨، ٥٥٩) (اللاحم).

والماتريدية، فإنهم يجعلون هذا الأصل الفلسفي المبتدع، وهو (الاستدلال على حدوث العالم بطريق الجسم والعرض) من أصولهم في العقيدة وتقرير التوحيد بزعمهم، وهي طريقة الفلاسفة الكفار التي خالفوا فيها نهج المرسلين.

**قال شيخ الإسلام:** «ولم يكن في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام، ويثبت حدوث الأجسام بدليل الأعراض والحركة والسكون والأجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث ويبني ذلك على حوادث لا أول لها، وأول ما ظهر هذا الكلام في الإسلام بعد المائة الأولى، من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، ثم صار في أصحاب عمرو بن عبيد كأبي الهذيل العلاف وأمثاله من المعتزلة[(١)].

وهذا هو «أصل علم الكلام الذي أطبق على ذمة أئمة السلف»[(٢)] ومن هنا ندرك بُعد نظر السلف حينما ذموا الكلام وأهله وشدَّدوا في ذلك.

**٤ ـ من منهج الجهمية اتخاذ نفي التشبيه ذريعة للتعطيل:**

يتذرع المعطلة الذين أنكروا أسماء الله وصفاته أو بعضها، وكذلك المؤولة ـ بأن الإثبات يقتضي التشبيه، فإن الجهمية

---

(١) انظر: منهاج السنة (٨/ ٥).
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥٨، ٥٥٩) (اللاحم).

نفت أسماء الله وصفاته تحت شعار نفي التشبيه، والمعتزلة نفت الصفات كذلك، وأهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية ومن سلك سبيلهم أوَّلوا صفات الله وحرَّفوا نصوصَها تحت شعار نفي التشبيه.

وهذا توهم منهم وإعمال لما في أذهانهم من الخيالات، وقياس الخالق بالمخلوق، فإنهم لو فقهوا القاعدة الشرعية للإثبات والنفي، وسلَّموا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لما حصل عندهم هذا الاضطراب.

**قال ابن القيم**: «إن هؤلاء المعارضين بين الوحي والعقل من الجهمية المعطلة والفلاسفة الملاحدة، ومن اتبع سبلهم هم دائماً يدلون بنفي التشبيه والتمثيل، ويجعلونه جنة لتعطيلهم ونفيهم، فجحدوا علوَّه على خلقه ومباينته لهم، وتكلمه بالقرآن والتوراة والإنجيل وسائر كتبه، وتكليمَه لموسى، واستواءَه على عرشه ورؤيةَ المؤمنين له بأبصارهم من فوقهم في الجنة، وسلامه عليهم، وتجلِّيه لهم ضاحكاً، وغير ذلك مما أخبر به عن نفسه، وأخبر به عنه رسوله، وتترسوا بنفي التشبيه واتخذوه جُنة يصدون به القلوب عن الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وكل من نفى شيئاً مما وصف به نفسه جعل نفي التشبيه له كالوقاية في الفعل حتى آل ذلك ببعضهم إلى أن نفى ذاته وماهيته خشية التشبيه، فقال: «هو وجود محض لا ماهية له. ونفى آخرون وجوده بالكلية خشية التشبيه، وقالوا: يلزمنا

في الوجود ما لزم بشتى الصفات والكلام والعلو في ذلك، فنحن نسدُّ الباب بالكلية»(١).

**٥ـ قول الجهم والجهمية في الإيمان:**

الإيمان عند الجهم والجهمية مجرد التصديق والمعرفة، وسبب ذلك جهلهم بالشرع وإعراضهم عنه إلى الفلسفات والأوهام والظنون، والتلقي عن الفلاسفة والأمم الهالكة، فإن مجرد معرفة الله تعالى دون التزام شرعه لا يتميز بها أحد دون أحد، إذ هي بدهية فطرية، فالإيمان الشرعي الذي أراده الله من عباده، وامتدح به المؤمنين هو: الإيمان القائم على التصديق والتسليم والإذعان والعمل كما عبر عنه السلف بأنه قول وعمل.

**قال شيخ الإسلام: «وأصل جهم في الإيمان تضمن غلطاً من وجوه:**

**منها**: ظنه أنه مجرد تصديق القلب ومعرفته بدون أعمال القلب كحب الله وخشيته، ونحو ذلك.

**ومنها**: ظنه ثبوت إيمان قائم في القلب بدون شيء من الأقوال والأعمال.

**ومنها**: ظنه أن مَنْ حَكَمَ الشرعُ بكفره وخلوده في النار

---

(١) الصواعق (٤/١٣٦٦).

فإنه يمتنع أن يكون في قلبه شيء من التصديق، وجزموا بأن إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن في قلوبهم شيء من ذلك»[١].

وليس غريباً من الجهم وأمثاله من أهل الأهواء الجاهلين أن يقولوا ذلك، إنما الغريب أن يقول بمثل قوله أبوحنيفة وأتباعه ومرجئة الفقهاء، حيث جعلوا الإيمان هو التصديق فقد خالفوا السلف في ذلك، وإن كانوا لا يذهبون في الأعمال مذهب الجهمية، فإن مرجئة الفقهاء الأوائل يرون الأعمال والأقوال شرط لصحة الإيمان كما يقول السلف، وإن كانوا لا يدخلونها في مسمى الإيمان.

**وقال أبوعبيد القاسم بن سلام:** «فقالت الجهمية: الإيمان معرفة الله بالقلب، وإن لم يكن معها شهادة لسان، ولا إقرار بنبوة، ولا شيء من أداء الفرائض، احتجوا في ذلك بإيمان الملائكة فقالوا: قد كانوا مؤمنين قبل أن يخلق الله الرسل.

**وقالت المعتزلة:** الإيمان بالقلب واللسان مع اجتناب الكبائر، فمن قارف شيئاً كبيراً زال عنه الإيمان، ولم يلحق بالكفر، فسمي فاسقاً ليس بمؤمن ولا كافر إلا أن أحكام الإيمان جارية عليه.

---

(١) الفتاوى (١٠/٧٤٩).

**وقالت الإباضية:** الإيمان جماع الطاعات، فمن ترك شيئاً كان كافرَ نعمةٍ وليس بكافرِ شركٍ..»[١].

**٦ ـ قول الجهمية في الصفات:**

زعمت الجهمية أن صفات الله مخلوقة؛ ذلك أنهم يرون أن وجود الله إنما هو وجود مطلق معنوي أو عقلي لا حقيقي، فهو لا يقبل التسمية ولا الوصف بذاته، بل ينكرون وجود الذات لله تعالى، ولذلك لما أنكرت الجهمية الصفات لله تعالى زعمت أن ما وردت به الأخبار من ذلك إنما مخلوقات منفصلة لا يوصف الله بها.

**قال شيخ الإسلام:** «وما يزعمه الجهمية والمعتزلة من أن كلامه وإرادته ومحبته وكراهته ورضاه وغضبه وغير ذلك، كل ذلك مخلوقات له منفصلة عنه؛ هو مما أنكره السلف عليهم وجمهور الخلف، بل قالوا: إن هذا من الكفر الذي يتضمن تكذيب الرسول وجحود ما يستحقه الله من صفاته وكلام السلف في رد هذا القول، بل وإطلاق الكفر عليه كثيرٌ منتشرٌ»[٢].

**٧ ـ مذهب الجهمية في كلام الله ومنه القرآن:**

أنكرت الجهمية أن يكون الله تعالى موصوفاً بالكلام، وزعموا أن كلام الله ـ ومنه القرآن ـ مخلوق، فقد نقل شيخ

---

(١) كتاب الإيمان ص(٥٠).
(٢) منهاج السنة (٥/ ٤٢١).

الإسلام عن محمد بن الهيصم الكراني في كتابه (جمل الكلام في أصول الدين) قال: «فقد حُكي عن «جهم» أن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة، وإنما هو كلام خلقه الله فينسب إليه، كما قيل: سماء الله وأرضه، وكما قيل: بيت الله وشهر الله، وأما المعتزلة فإنهم أطلقوا القول بأنه كلام الله على الحقيقة، ثم وافقوا جهماً في المعنى حيث قالوا: كلام خلقه بائناً منه»(١).

**وقال شيخ الإسلام:** «وكما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم إنه قديم، لم يقل واحداً من القولين أحدٌ من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا من بعدهم من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله».

«وأول من عُرف أنه قال مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عُرف أنه قال هو قديم عبدالله بن سعيد بن كلاب، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول»(٢).

**٨ ـ من أصول الجهمية نفي كلام الله تعالى:**

يعد نفي كلام الله تعالى من الأصول الأولى للجهمية؛ لأن من لوازمه نفي الصفات كلها، ونفي الرؤية، والقول بأن القرآن

---

(١) الفتاوى (٦/١٨٣).
(٢) الفتاوى (١٢/٣٠١).

مخلوق، ونفي العلو والفوقية والاستواء، وأفعال الله تعالى.

**يقول الدارمي:** «حتى ادعى جهم أن رأس محنته نفي الكلام عن الله، فقال: متى نفينا عنه الكلام فقد نفينا عنه جميع الصفات من النفس واليدين، والوجه، والسمع، والبصر؛ لأن الكلام لا يثبت إلا لذي نفس ووجه ويد وسمع وبصر، ولا يثبت كلام لمتكلم إلا من قد اجتمعت فيه هذه الصفات»(١).

**وقال:** «وادعى المعارض أيضًا: أن الله لا يوصف بالضمير، والضمير منفي عن الله، وليس هذا من كلام المعارض، وهي كلمة خبيثة قديمة من كلام جهم، عارض بها جهم قول الله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦] يدفع بذلك أن يكون الله سبق له علم في نفسه بشيء من الخلق وأعمالهم قبل أن يخلقهم، فتلطف بذكر الضمير ليكون أستر عند الجهال.

**فردَّ على جهم بعض العلماء قوله هذا وقالوا: كفرت بها يا عدو الله من ثلاثة أوجه:**

**وجه: أنك نفيت عن الله العلم السابق في نفسه قبل حدوث الخلق وأعمالهم.**

**والوجه الثاني: أنك استجهلت المسيح ابن مريم: أنه**

---

(١) رد الدارمي (١٩٥).

وصف ربَّه بما لايوصف بأن له خفايا بالعلم في نفسه، إذ يقول له: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾.

**الوجه الثالث:** أنك طعنت به على محمد ﷺ؛ إذ جاء به مصدقاً لعيسى؛ فأفحم جهماً»[١].

وعليه فإن:

**٩ـ بدعة القول بخلق القرآن لدى الجهمية فرع عن إنكار صفة الكلام لله تعالى:**

قول الجهمية بخلق القرآن مبناه على إنكار صفة الكلام، يقول البخاري ـ رحمه الله ـ: «مع أن الجهمية والمعطلة إنما ينازعون أهل العلم على قول الله، إن الله لا يتكلم وإن تكلم فكلامه خلق، فقالوا: إن القرآن المقروء بعلم الله مخلوق، فلم يميزوا بين تلاوة العباد وبين المقروء»[٢].

**١٠ـ قول الجهمية ومن سلك سبيلهم من أهل الكلام والصوفية والفلاسفة في الرؤية:**

من المسلمات ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم، كما تواترت بذلك النصوص من القرآن والسنة وإجماع السلف، ولما أنكرت الجهمية ومن سلك سبيلها الرؤية، اضطرت لتأويل معنى الرؤية الواردة في النصوص

---

(١) رد الدارمي (١٩٥).
(٢) خلق أفعال العباد (٧٤، ٧٥).

بتأويلات تقتضي تعطيل النصوص من معانيها، وتفسيرها بتفسيرات فلسفية عقلانية تؤدي إلى إنكار حقيقة الرؤية، وإنكار حقيقة النعيم واللذة اللذين يحصلان للمؤمنين في رؤية ربهم عز وجل في الآخرة، نسأل الله الكريم أن يمتعنا بها كما وعد سبحانه ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فقد فسَّر النبي ﷺ في الحديث الصحيح هذه الزيادة بالنظر لوجه الله الكريم.

قال شيخ الإسلام: «والمنكرون لرؤيته من الجهمية والمعتزلة تنكر هذه اللذة، وقد يفسرها من يتأول الرؤية بمزيد العلم على لذة العلم به، كاللذة التي في الدنيا بذكره، لكن تلك أكمل، وهذا قول متصوفة الفلاسفة والنفاة كالفارابي وأبي حامد وأمثاله، فإن ما في كتبه من «الإحياء» وغيره من لذة النظر إلى وجهه هو بهذا المعنى، والفلاسفة تثبت اللذة العقلية، وأبونصر الفارابي من المتفلسفة يثبت الرؤية لله ويفسرها بهذا المعنى»(١).

### ١١- إظهار الجهمية لبدعة القول بخلق القرآن:

**قال شيخ الإسلام في بدعة القول بخلق القرآن:** «أظهروا ذلك في أوائل المائة الثانية، فلما سمع ذلك علماء الأمة أنكروا ذلك، ثم صار كلما ظهر قولهم أنكره العلماء، وكلام

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٣٩٠، ٣٩١).

السلف والأئمة في إنكار ذلك متواتر»[١].

**موقف السلف من بدعة القول بخلق القرآن ونفي الصفات:**

لما ظهرت بدعة القول بخلق القرآن ونفي صفات الله تعالى، تعاظمها السلف وأدركوا شناعتها وخطرها على الأمة، قاموا بما أوجب الله عليهم من ردِّ هذه البدعة والتحذير منها والتصدي للقائلين بها، وحماية الأمة من غوائلها تحقيقاً لأمر الله ووعده بحفظ هذا الدين.

**قال شيخ الإسلام:** «فأما الرد على الجهمية القائلين بنفي الصفات وخلق القرآن ففي كلام التابعين وتابعيهم والأئمة المشاهير من ذلك شيء كثير، وفي مسألة القرآن من ذلك آثار كثيرة جداً، مثل ما روى ابن أبي حاتم وابن شاهين واللالكائي وغيرهم من غير وجه عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قيل له يوم صفين: حكمت رجلين، فقال: ما حكمت مخلوقاً، ما حكمت إلا القرآن.

**وعن عكرمة قال:** كان ابن عباس في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له، فوثب إليه ابن عباس فقال له: مه، القرآن منه، وفي رواية: القرآن كلام الله وليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود.

---

(١) الفتاوى (٥/ ٥٥٣).

وعن **عبدالله بن مسعود قال**: من حلف بالقرآن فعليه بكل آية كفارة، فمن كفر بحرف منه فقد كفر به أجمع.

ومن المستفيض عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ـ وربما وقفه بعضهم على سفيان، والأول هو المشهور ـ قال: أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ومشايخ عمرو من لقي عمرو من الصحابة والتابعين.

وعن علي بن الحسين زين العابدين وابنه جعفر بن محمد: ليس القرآن بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.

ومثل هذا مأثور عن الحسن البصري، وأيوب السختياني، وحماد بن أبي سليمان، وابن أبي ليلى، وأبي حنيفة، وابن أبي ذئب، وابن الماجشون، والأوزاعي، والشافعي، وأبي بكر بن عياش، وهشيم، وعلي بن عاصم، وعبدالله بن المبارك، وأبي إسحاق الفزاري، ووكيع بن الجراح، والوليد بن مسلم، وعبدالرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان، ومعاذ بن معاذ، وأبي يوسف، ومحمد، والإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وبشر بن الحارث، ومعروف الكرخي، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي ثور، والبخاري، ومسلم، وأبي زرعة، وأبي حاتم، ومن لا يُحصى كثرة »[١].

---

(١) الفتاوى (١٢/٤١٨ ـ ٤١٩).

**١٢- تحريف الجهمية لآيات الله تعالى وموقف السلف منه:**

استكملت البدعة بالجهمية والمعتزلة في عهد ظهورها في أول القرن الثالث، وتمادت في الضلال إلى حد الجرأة على تحريف كلام الله تعالى، ووصل بهم الغرور والغطرسة إلى محاولة العبث بالقرآن وتحريف آياته.

**قال الذهبي في حوادث سنة (٢١١):** «وحجَّ فيها حنبل فقال: رأيت كسوة الكعبة وقد كتب فيها في الدارات: (ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير) فحدثت به أبا عبدالله فقال: قاتل الله الخبيث، عمد إلى كلام الله فغيَّره، عني ابن أبي دؤاد»[1].

**١٣- من أصول الجهمية إنكار صفة المحبة لله تعالى:**

أخذت الجهمية عن الفلاسفة توهماتهم في الله عز وجل، ومنها توهمهم أن لله تعالى الوجود المطلق، أو مطلق الوجود، وأن وجوده لا في مكان، ولا يتصف بالصفات الوجودية الذاتية ولا الفعلية، ومن هنا أنكروا أفعال الله تعالى، كالكلام، والاستواء، والمحبة. التي ثبتت لله تعالى على ما يليق بجلاله بالنصوص القطعية.

**قال شيخ الإسلام:** «وأنكرت الجهمية ومن اتبعهم محبته، وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم شيخ الجهم بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٢٩٣).

صفوان»[(١)]، وتابعت المعتزلة الجهمية في ذلك وبعض الأشاعرة والماتريدية.

وهذا ردٌّ لصريح النصوص، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

فهذه الآيات صريحة في إثبات صفة المحبة لله تعالى على ما يليق بجلاله سبحانه، وقال ﷺ في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت...**» إلخ الحديث[(٢)].

---

(١) الفتاوى (٨/ ١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، الفتح رقم (٦٥٠٢).

والعجيب أن متكلمة الأشاعرة لا يقرون بهذا، ويؤولون المحبة بإرادة الإنعام والثواب! ثم بعض هؤلاء يقولون نحن على عقيدة السلف في ذلك. إلا أن يقصدوا بذلك سلفهم وهم الجهمية المعطلة، فنعم، ولكل قوم وارث، أما السلف الصالح فهم بريئون من التعطيل والتأويل ومسالك أهل الكلام كلها.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية**: «وأول من عُرف في الإسلام أنه أنكر أن الله يُحِبُّ أو يُحَبُّ الجهمُ بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم، وكذلك هو أول من عُرف أنه أنكر حقيقة تكليم الله لموسى وغيره، وكان جهم ينفي الصفات والأسماء، ثم انتقل بعض ذلك إلى المعتزلة وغيرهم، فنفوا الصفات دون الأسماء، وليس هذا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل كلهم متفقون على أن الله يستحق أن يُحبَّ، وليس شيء أحق بأن يُحَبَّ من الله سبحانه»[١].

**وقال شيخ الإسلام أيضًا**: «وأنكرت الجهمية المحبة من الطرفين زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، إنه لا مناسبة بين القديم والمحدث، وكان أول من

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٣٩٢).

ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية».

**فالمتكلمون تبع للجهمية في هذه المسألة.**

حيث ذهب طائفة من المتكلمين إلى أن الله تعالى (لا يُحَبُّ نَفْسُه) إنما طاعته وعبادته، وهو لا يحب عباده المؤمنين إنما محبته إرادته الإحسان إليهم، وذكر من القائلين بهذا القاضي أبابكر، وأبايعلى، وأباالمعالي وأمثالهم.

**وقال**: هذه شعبة من التجهم، فإن أول من أنكر المحبة الجعد بن درهم أستاذ الجهم بن صفوان.

**١٤ـ مذهب الجهمية أن الله تعالى ليس بشيء وأنه ليس في السماء:**

صرح الجهم أن الله تعالى ليس بشيء، وأنه تعالى ليس في السماء، ولازم هذا أنه حال في مخلوقاته، تعالى الله عما يزعمون، أو أنه ليس له وجود أصلاً.

**قال البخاري**: «وقال حماد بن زيد: القرآن كلام الله، نزل به جبرائيل، ما يجادلون إلا أنه ليس في السماء إلٰه»[(١)].

**وقال شيخ الإسلام**: «وكان الجهم ينكر أن يسمى الله

---

(١) خلق أفعال العباد (٣١).

شيئاً، وربما قالت الجهمية هو شيء لا كالأشياء»[١].

ويقصدون بذلك أنه تعالى لا يوصف ولا يسمى، ولا صفة له ولا اسم، يوهمون بذلك أنهم يريدون التنزيه وقصدهم التعطيل. أما أن الله تعالى ليس كمثله شيء فهذا حق.

وغاية قول الجهم إنكار أن في السماء ربًّا (تعالى الله عن قوله).

فأئمة السلف الذين ناظروا جهماً أو عرفوا حقيقة قوله وقول سائر الجهمية يقولون بأن غاية قول الجهمية إنكار أن يكون الله في السماء، بل بعضهم يرى أن من لوازم مذهب الجهمية إنكار وجود الله أصلاً، كما ذكرت سابقاً.

**قال عبدالله بن أحمد**: حدثت عن أحمد بن نصر عن علي بن عاصم بن علي قال: «ناظرت جهماً فلم يثبت أن في السماء رباً، جلَّ ربنا عز وجل وتقدس»[٢].

ويصدق هذا أن مقولات الجهمية انتهت عند الباطنية وغُلاة الصوفية والفلاسفة إلى الإلحاد وإنكار وجود الله، أو الوحدة، أو الحلول، أو الاتحاد، وهذا ما ظنه كثير من السلف

---

(١) الفتاوى (٣/ ٧٥).
(٢) السنة (١/ ١٦٨).

قبل وقوعه.

**قال شيخ الإسلام:** «وأما من فسر قوله: أنه ليس في السماء بمعنى أنه ليس فوق العرش وإنما فوق السموات عدم محض، فهؤلاء هم الجهمية الضُّلال المخالفون لإجماع الأنبياء ولفطرة العقلاء»[1].

**١٥ـ حقيقة أصول الجهمية تنتهي إلى قول فرعون وهو التعطيل:**

أصل التعطيل نزعة إلحادية عند الفلاسفة وأتباع الديانات والملل والنحل الضالة من أعداء الرسل، وهو ما ذكره الله تعالى عن فرعون وأشياعه قديماً وحديثاً.

**قال شيخ الإسلام:** «وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون، وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل، فكان يجحد الخالق ـ جل جلاله ـ ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ويقول لموسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، ويقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وكان ينكر أن يكون الله كلَّم موسى، أو يكون لموسى إله فوق السموات، ويريد أن يبطل عبادة الله وطاعته ويكون هو المعبود المطاع، فلما كان قول الجهمية المعطلة النفاة يؤول إلى قول فرعون كان منتهى قولهم إنكار رب العالمين، وإنكار عبادته، وإنكار كلامه، حتى

(١) الفتاوى (١٩/١٤١).

ظهروا بدعوى التحقيق والتوحيد والعرفان، فصاروا يقولون: العالم هو الله، والوجود واحد، والموجود القديم الأزلي الخالق هو الموجود المحدث المخلوق، والرب هو العبد، ما ثم رب وعبد وخالق ومخلوق، بل هو عندهم فرقان»[١].

وكان نعيم بن حماد (ت٢٢٨هـ) وهو الخبير بمذهب الجهمية، يرى أن حقيقة مذهب الجهمية التعطيل.

**قال الذهبي**: «وكان شديد الرد على الجهمية، وكان يقول: كنت جهمياً ولذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث علمت أن مآلهم إلى التعطيل»[٢].

**١٦ـ التعطيل عند الجهمية أدى إلى القول بالحلول:**

لقد أدرك أئمة السلف في وقت مبكر أن حقيقة قول الجهمية بنفي الصفات يلزم منه القول بالحلول، وهذا ما حصل فعلاً، حيث صرح متأخرو الجهمية بذلك.

**قال شيخ الإسلام**: «فكان قدماء الجهمية يقولون: إنه بذاته في كل مكان، وهؤلاء قالوا: هو عين الموجودات، والموجود القديم الواجب هو نفس الموجود المحدث الممكن. والحلول هو الذي أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والأئمة وردُّوه، وأما حقيقة قولهم فهو النفي أنه لا

---

(١) الفتاوى (١٣/ ١٨٥).

(٢) تذكرة (٢/ ٤١٩).

داخل العالم ولا خارجه، ولكن هذا لم تسمعه الأئمة، ولم يعرفوا أنه قولهم إلا من باطنهم، ولهذا كان الأئمة يحكون عن الجهمية أنه في كل مكان، ويحكون عنهم وصفه بالصفات السلبية، وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلوب»[1].

**١٧ ـ جمهور الجهمية وعبادهم وصوفيتهم يقولون بالحلول:**

لقد صدقت فراسة أئمة السلف الذين عاصروا ظهور الجهمية الأولىٰ، ورأوا أن مذهب الجهمية مآله إنكار وجود الرب والقول بالحلول، وفعلاً انتهى مذهب الجهمية إلى قول كثير من متأخريهم من الصوفية والفلاسفة والباطنية إلى القول بالحلول، وهذا من لوازم إنكار الأسماء والصفات.

**يقول شيخ الإسلام:** «ولهذا كان انقياد القلوب إلى قول الحلولية أقرب من انقيادهم إلى قول نفاة الأمرين، وجمهور الجهمية وعبَّادهم وصوفيتهم إنما يتكلمون بالحلول. وإلا فالنفي العام لا تقبله غالب العقول، وإنما يقوله من يقوله من متكلمتهم، وهؤلاء يخضعون لأرباب الأحوال والعبادات والمعارف من الجهمية الحلولية، ولا يمكنهم الإنكار عليهم بحجة ظاهرة، ويد مبسوطة، بل إما أن يكونوا مقصِّرين معهم في الحجة، وإما أن يكونوا مقهورين معهم بالحال والعبادة والمعرفة؛ لأن أولئك في قلوبهم تأله ووجد وذوق، وهؤلاء

---

(١) الفتاوى (١٣/ ١٥٠).

بطَّالون قساة القلوب؛ لأن القلب لا يتوجه بالقصد والعبادة إلى العدم والنفي، وإنما يتوجه إلى أمر موجود، ولهذا كانت الجهمية النفاة داخلين في نوعٍ من الشرك، إذ كل معطِّل مشرك، وليس كل مشرك معطِّلاً، والجهمية قولهم مستلزم للتعطيل، ففيهم شرك، وقد يكون الشرك فيمن ليس منهم، إذ إخلاص الدين لله مستلزم لإثباته، وليس إثباته مستلزماً للإخلاص»[١].

وأخرج الذهبي عن علي بن الحسن بن شقيق يقول: قلت لابن المبارك: كيف تعرف ربنا عز وجل؟ قال: في السماء على العرش، ولا نقول كما قالت الجهمية هو معنا هاهنا[٢]. يعني الحلول والاتحاد.

**وقال شيخ الإسلام**: «وقد تبيَّن أن الجهمية عندهم من نوع الملاحدة الذين يُعلم ـ بالاضطرار ـ أن قولهم مخالف لما جاءت به الرسل، بل إنكار صفات الله أعظم إلحاداً في دين الرسل من إنكار معاد الأبدان، فإن إثبات الصفات لله أخبرت به الرسل أعظم مما أخبرت بمعاد الأبدان»[٣].

**قال الأشعري**: «فقال جهم وبعض الزيدية: إن الباريء لا

---

(١) درء التعارض (١٠/٢٨٨، ٢٨٩).
(٢) تاريخ الإسلام (١٨١ ـ ١٩٠/٢٣٨).
(٣) درء التعارض (٥/٣٠٩).

يقال إنه شيء؛ لأن الشيء هو المخلوق الذي له مثلٌ.

وقال المسلمون كلهم: إن البارئ شيء لا كالأشياء»[1] ودليل ذلك مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩].

**١٨ ـ الجهمية ومن تابعهم ينكرون أفعال الله تعالى:**

من أصول الجهمية إنكار الحكمة والرحمة والتعليل في أفعال الله تعالى، وتابعهم أهل الكلام في ذلك، وذلك أنه لما كان مبنى أصول الجهمية على التعطيل نفوا أفعال الله تعالى وصفاته، كالحكمة والرحمة، وأن تكون أفعاله سبحانه لها حكمة.

**قال شيخ الإسلام:** «والجهم بن صفوان ومن اتبعه ينكرون حكمته ورحمته، ويقولون: ليس في أفعاله وأوامره لام كي، لا يفعل شيئاً لشيء، ولا يأمر بشيء لشيء، وكثير من المتأخرين من المثبتين للقدر من أهل الكلام ومن وافقهم سلكوا مسلك «جهم» في كثير من مسائل هذا الباب وإن خالفوه في بعض ذلك، إما نزاعاً لفظياً، وإما نزاعاً لا يعقل، وإما نزاعاً معنوياً، وذلك كقول من زعم: إن العبد كاسب ليس بفاعل حقيقة، وجعل الكسب مقدوراً للعبد، وأثبت له قدرة لا تأثير لها في المقدور، ولهذا قال جمهور العقلاء: إن هذا كلام

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٥٩).

متناقض غير معقول...»[١].

وتكلم عن مسألة الكسب بكلام جيد فيراجع.

**ومن ذلك:** زعمهم أن الله تعالى قد يأمر بما ليس فيه منفعة ولا مصلحة، وهكذا طردوا قاعدتهم الفاسدة بإنكار الحكمة والتعليل حتى وصفوا الله بما لا يليق.

**قال شيخ الإسلام:** «وأما جهم ومن وافقه من الجبرية فيقولون: إن الله قد يأمر بما ليس فيه منفعة ولا مصلحة ألبتة، بل يكون ضرراً محضاً إذا فعله المأمور به، وقد وافقهم على ذلك طائفة من متأخري أتباع الأئمة ممن سلك مسلك المتكلمين ـ أبي الحسن [الأشعري وغيره] ـ في مسائل القدر، فنصر مذهب جهم والجبرية»[٢].

**قال:** «بل أصل هذا القول هو قول الجهم بن صفوان، فإنه كان يثبت مشيئة الله تعالى، وينكر أن يكون له حكمة أو رحمة، وينكر أن يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة، وحكي عنه أنه كان يخرج إلى الجَذْمَى ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ إنكاراً لأن تكون له رحمة يتصف بها، وزعماً منه أنه ليس إلا مشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة، بل يرجِّح أحد

---

(١) الفتاوى (٨/ ٤٦٦، ٤٦٧).
(٢) الفتاوى (١٦/ ١٦٥، ١٦٦).

المتماثلين بلا مرجِّح»[١].

**وقال ابن القيم:** «ولما أنكرت الجبرية الحكمة والتعليل والأسباب، وأبطلت هذا الأصل بعقولها وآرائها عجزوا عن جواب أسئلته، وسدُّوا على نفوسهم باب استماعها والجواب عنها، وفتحوا باب مكابرة العقول الصريحة، وإنكار تحسين العقل وتقبيحه، وإنكار الأسباب والقوى والطبائع والحكم والغايات المحمودة التي لأجلها يفعل الرب ما يفعله، ويأمر بما يأمر به، وجوَّزوا عليه أن يفعل كلَّ شيء، وأن يأمر بجميع ما نهى عنه، وينهى عن كلِّ ما أمر به، ولا فرق عنده ألبتة بين المأمور والمحظور، والكل سواء في نفس الأمر، ولكن هذا صار حسناً بأمره لا أنه في نفسه وذاته حسن، وهذا صار قبيحاً بنهيه لا أنه في نفسه وذاته قبيح»[٢].

**وقال:** «وقالت الجبرية ومنكروا الحكم والتعليل: هذه الأسئلة إنما ترد على من يفعل لعلة أو لغرض أو لغاية، فأما من لا علة لفعله، ولا غاية، ولا غرض، بل يفعل ما يفعله بلا سبب ولا غاية، وإنما مصدر مفعولاته محض مشيئة، وغايتها مطابقتها لعلمه وإرادته، فجاء فعله على وفق إرادته وعلمه»[٣].

---

(١) المنهاج (٣/ ٣١، ٣٢).
(٢) الصواعق (٤/ ١٥٥٠).
(٣) الصواعق (٤/ ١٥٤٧).

وقال **شيخ الإسلام أيضًا**: «والجهمية الجبرية يقولون: ليس للأمر حكمة تنشأ، لا من نفس الأمر، ولا من نفس المأمور به، ولا يخلق الله شيئاً لحكمة، ولكن نفس المشيئة أوجبت وقوع ما وقع، وتخصيص أحد المتماثلين بلا مخصص، وليست الحسنات سبباً للثواب ولا السيئات سبباً للعقاب، ولا لواحد منهما صفة صار بها حسنة وسيئة، بل لا معنى للحسنة إلا مجرد تعلق الأمر بها، ولا معنى للسيئة إلا مجرد تعلق النهي بها، فيجوز أن يأمر بكل أمر حتى الكفر والفسوق والعصيان، ويجوز أن ينهى عن كل أمر حتى عن التوحيد والصدق والعدل، وهو لو فعل لكان كما لو أمر بالتوحيد والصدق والعدل، ونهى عن الشرك والكذب والظلم، هكذا يقول بعضهم، وبعضهم يقول: يجوز الأمر بكل ما لا ينافي معرفة الأمر بخلاف ما ينافي معرفته، وليس في الوجود عندهم سبب، ولكن إذا اقترن أحد الشيئين بالآخر خلقاً أو شرعاً صار علامة عليه، فالأعمال مجرد علامات محضة لا أسباب مقتضية»[١].

**مخالفة الجهمية لمنهج السلف في ذلك:**

من خلاصة ما سبق، تتبين لنا حقيقة أصول الجهمية، وأنها تقوم على مناهج دخيلة على الإسلام، استمدت من

---

(١) الفتاوى (١٧/ ١٩٩).

مناهج الفلاسفة والأمم الضالة، والفرق الخارجة عن دين الأنبياء، وعلى هذا فإن مناهج الجهمية منافية لمناهج السلف وسبيل المؤمنين، إنما أدخلوها على المسلمين لتروج.

**قال شيخ الإسلام:** «وقد تدبرت عامة ما رأيته من كلام السلف ـ مع كثرة البحث عنه، وكثرة ما رأيته من ذلك ـ هل كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان على ما ذكرته من هذه الأقوال التي وجدتها في كتب أهل الكلام من الجهمية والقدرية، ومن تلقى ذلك عنهم: مثل دعوى الجهمية أن الأمور المتماثلة يأمر الله بأحدها وينهى عن الآخر، لا لسبب ولا لحكمة، أو أن الأقوال المتماثلة والأعمال المتماثلة من كل وجه يجعل الله ثواب بعضها أكثر من الآخر بلا سبب ولا حكمة، ونحو ذلك مما يقولونه كقولهم: إن كلام الله كله متماثل، وإن كان الأجر في بعضه أعظم، فما وجدت في كلام السلف ما يوافق ذلك، بل يصرحون بالحكم والأسباب، وبيان ما في المأمور به من الصفات الحسنة المناسبة للأمر به، وما في المنهي عنه من الصفات السيئة المناسبة للنهي عنه، ومن تفضيل بعض الأقوال والأعمال في نفسها على بعض، ولم أر عن أحد منهم قط أنه خالف النصوص الدالة على ذلك، ولا استشكل ذلك، ولا تأوله على مفهومه، مع أنه يوجد عنهم في كثير من الآيات والأحاديث استشكال واشتباه، وتفسيرها على أقوال مختلفة قد يكون بعضها خطأ. والصواب هو القول

الآخر»[١].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «والجهمية تنكر أن يكون في الفعل حكمة أصلاً في نفسه ولا في نفس الآمر بناء على أصلهم أنه لا يأمر بحكمة، وعلى أن الأفعال بالنسبة إليه سواء ليس بعضها حسناً وبعضها قبيحاً، وكلا الأصلين قد وافقتهم عليه الأشعرية ومن اتبعهم من الفقهاء، كأصحاب الشافعي ومالك وأحمد وغيرهم، وهما أصلان مبتدعان، فإن مذهب السلف والأئمة أن الله يخلق لحكمة ويأمر لحكمة، ومذهب السلف والأئمة أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ويرضى ذلك، ولا يحب الكفر والفسوق والعصيان؛ وإن كان قد شاء وجود ذلك، وقد بسط هذا في موضع آخر»[٢].

فالمتكلمون ساروا على نهج الجهمية في هذه المسألة حين زعموا أن خلقه وأمره تعالى متعلق بمحض المشيئة لا يتوقف على مصلحة، وهذا عند التحقيق قول جهم[٣].

**١٩ـ فساد مذهب الجهمية في الثواب والعقاب وزعمهم أن ذلك بلا حكمة:**

«وعُلم فساد قول الجهمية الذين يجعلون الثواب والعقاب

---

(١) الفتاوى (١٧/ ١٨٢).

(٢) الفتاوى (١٤/ ١٤٦، ١٤٧).

(٣) انظر: منهاج السنة (١/ ٤٦٢).

بلا حكمة، ولا عدل، ولا وضع للأشياء مواضعها، فيصفون الربَّ بما يوجب الظلم والسفه، وهو سبحانه قد شهد ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ولهذا يقولون: لا ندري ما يفعل بمن فعل السيئات، بل يجوز عندهم أن يعفو عن الجميع، ويجوز عندهم أن يعذب الجميع، ويجوز أن يعذب ويغفر بلا موازنة، بل يعفو عن شرِّ الناس ويعذب خيرَ الناس على سيئة صغيرة ولا يغفرها له، وهم يقولون: السيئة لا تمحى لا بتوبة ولا حسنات ماحية ولا غير ذلك، وقد لا يفرقون بين الصغائر والكبائر[١].

**٢٠ ـ ومن ذلك إنكارهم الأسباب والطبائع:**

فإن أول من أنكر الأسباب والطبائع الجهم بن صفوان، ثم تبعه طوائف من المعتزلة وأهل الكلام والفلاسفة.

**قال شيخ الإسلام بعد ذكر مقولة المتكلمين: إنه لا يفعل الأشياء بالأسباب، قال:**

«وأول من قاله في الإسلام جهم بن صفوان، الذي أجمعت الأمة على ضلالته، فإنه أول من أنكر الأسباب والطبائع، كما أنه أول من ظهر عنه القول بنفي الصفات، وأول

---

(١) الفتاوى (١٤/٣٤٦)، وللكلام بقية مفيدة.

من قال بخلق كلام الله وإنكار رؤيته في الآخرة»[١].

**فهذه أربع ضلالات أول من فتقها وقعَّد لها الجهم وهي:**

١ - **إنكار الأسباب والطبائع**، وهو فرع عن إنكار الحكمة والتعليل في أفعال العباد. وقد أخذت عنه ذلك كثير من الطرق الصوفية، وتأثرت به الأشاعرة.

٢ - **نفي الصفات**، وهو التعطيل وهو فرع عن قول الفلاسفة المشركين. وقد أخذت به المعتزلة، ثم تأثرت به متكلمة الأشاعرة والماتريدية.

٣ - **القول بخلق القرآن**، وهو فرع عن التعطيل وإنكار كلام الله تعالى. وأخذت به المعتزلة والخوارج والرافضة.

٤ - **نفي الرؤية**، وهو فرع عن نفي الصفات والكلام. وقد أخذت به المعتزلة والخوارج والرافضة.

**وقال**: «وكذلك الجهم بن صفوان ومن اتَّبعه يزعمون أن القادر المختار يرجّح أحد المتماثلين على الآخر بلا سبب ولا حكمة، فأنكروا ما في الأجسام من الطبائع، وما في خلق الله وأمره من الحكمة، وما في المخلوقات والشرائع من الأسباب»[٢].

---

(١) الفتاوى (٤/ ١٩٢).
(٢) الصفدية (٢/ ٣٣٠).

**٢١ ـ الجهمية يطلقون على أهل الإثبات (مجسمة):**

نظراً لأن الجهمية وأتباعها من المعتزلة وأهل الكلام يعتمدون في عقائدهم على النفي والتعطيل والتأويل، فهم ينفرون من الإثبات، وهذا ما جعل بعضهم يستثقل النصوص، فإن كانت آية ردَّ دلالتها وأوّلها، وإن كان حديثاً طعن في دلالته أو سنده، أو ردَّه مطلقاً وكذبه، ولذلك كانوا يلمزون السلف أهل الإثبات ويعيرونهم «فإنهم يقولون: كل من قال: «إن القرآن غير مخلوق» أو «إن الله يُرى في الآخرة» أو «إنه فوق العالم» فهو مجسِّم مشبِّه حشوِي»[1].

**٢٢ ـ قول الجهمية بفناء الجنة والنار وجميع المخلوقات:**

**قال شيخ الإسلام:** «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار، والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين، كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع سلف الأمة وأئمتها، كما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها، وبقاء غير ذلك مما لا تتسع هذه الورقة لذكره، وقد استدل طوائف من أهل الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع

---

(١) درء التعارض (١/ ٢٤٥).

المخلوقات بأدلة عقلية. والله أعلم»[١].

**وقال ابن حزم**: «اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف، وقوماً من الروافض، فأما جهم فقال: إن الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلهما، وقال أبوالهذيل: إن الجنة والنار تفنيان، ولا يفنى أهلهما، إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك متلذذون أو معذبون»[٢].

**وقال الأشعري**: «أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا (الجهم) أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له، وكذلك عذابُ الكفار في النار.

وقال جهم بن صفوان: إن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، ويفنى مَنْ فيهما، حتى لا يبقى إلا الله وحده، كما كان وحده لا شيء معه»[٣].

ومقولته هذه متفرعة عن ضلالة أخرى، وهي مقولة الفلاسفة المشركين الذين قالوا: إن الله تعالى لا يقدر على فعل ما لا يتناهى.

---

(١) الفتاوى (١٨/٣٠٧).
(٢) الفصل (٤/١٤٥).
(٣) مقالات الإسلاميين (٢/١٦٧، ١٦٨).

قال شيخ الإسلام: «فإن الجهم أصل قوله أن الله لا يقدر على فعل ما لا يتناهى، بل جعل لفعله مبدأ ومنتهى، وجعله معطَّلاً في الأزل والأبد. ولهذا قال: إن الجنة والنار تفنيان ويفنى كل شيء. وهذا من بِدَعِهِ التي أنكرها عليه السلف والأئمة، وادّعى هو وغيره من المعتزلة وغيرهم أن العالم يعدَم كله ثم يعاد كله بعد عدمه كله، وهذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف، كما قد بُسط في موضعه»[١].

**٢٣ـ فساد مذهب الجهمية في القدر:**

سبق الحديث عن قول الجهمية في القدر وأنهم جبرية غلاة يزعمون أن الإنسان مجبور مطلقاً لا حرية له وله اختيار.

وكذلك قولهم في الأسباب فقد ذكر عنهم أصحاب المقالات أنهم ينكرون أن يخلق الله الأشياء بالأسباب، ويزعمون أن الله تعالى يفعل عندها لا بها، فليس في الوجود بزعمهم سبب يفعل الله به، وأنه تعالى لم يجعل لكل شيء سبباً، وأن فعله للأشياء إنما يحصل بمحض الخلق والقدرة، فليس في المخلوقات قوى وأسباب يخلق الله بها كما زعم الجهم وأتباعه[٢].

---

(١) الصفدية (٢/ ٣٢٩).

(٢) انظر في ذلك: منهاج السنة (٨/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦)، والفتاوى (٨/ ٤٨٦، ٥٢١) (١٤/ ١٤٣) (١٧/ ٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ٥٣٠).

وهذا كله ضلال بيِّن، فإن الله تعالى قال في مشيئة العباد ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال سبحانه عن القرآن والوحي: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال تعالى عن المطر: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال تعالى في جزاء المؤمنين: ﴿هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

**٢٤ـ ومنه فساد قول الجهم في الدعاء:**

**قال شيخ الإسلام:** «وهذا القول قد قاله طائفة في جميع الدعاء أنه إن كان المطلوب مقدراً فلا حاجة إلى سؤاله وطلبه، وإن كان غير مقدر لم ينفع الدعاء ـ دعوت أو لم تدع ـ فجعلوا الدعاء تعبداً محضاً، كما قال ذلك طائفة أخرى في التوكل، وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع، وذكرنا قول من جعل ذلك أمارة أو علامة بناء على أنه ليس في الوجود سبب يفعل به، بل يقترن أحد الحادثين بالآخر، قاله طائفة من القدرية النظار، وأول من عُرف عنه ذلك الجهم بن صفوان ومن وافقه»[١].

**٢٥ـ الجهمية مرجئة غلاة:**

من بدع الجهم القول بالإرجاء الغالي، حيث زعم أن

---

(١) الفتاوى (١٤/١٤٣).

الإيمان هو المعرفة، فمن عرف الله ولو لم يعمل فهو مؤمن كامل الإيمان، ولا يضره مع الإيمان معصية، وكذلك العكس، فإن الكفر عنده هو الجهل بالله، وما سوى ذلك من الاعتقادات والأعمال الباطلة فليس كفراً.

**قال الأشعري**: «وزعم الجهم أنه لا كفر إلا الجهل، ولا كافر إلا جاهل بالله سبحانه، وأن قول القائل ثالثُ ثلاثة ليس بكفر، ولا يظهر إلا من كافر؛ لأنَّا وقفنا على أن من قال ذلك فكافر»[(١)].

وغالب الجهمية على قول جهم، وتابعهم على بعض قولهم الأشعري وأتباعه.

**قال شيخ الإسلام**: «وأما جهم فكان يقول: إن الإيمان مجرد تصديق القلب، وإن لم يتكلم به، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها؛ بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول، ولكن هو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه؛ ولكن قالوا مع ذلك: إن كلَّ من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره، واستدللنا بتكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة»[(٢)].

---

(١) مقالات الإسلاميين (٢/ ١٧١).
(٢) الفتاوى (١٣/ ٤٧).

## آثار مذهب الجهمية النكدة في الأمة

لم تقتصر الآثار السلبية لمقالات الجهمية المنحرفة على الجهمية بل بعدت إلى طوائف كثيرة من أهل الأهواء والافتراق وغيرهم، وبخاصة أولئك الذين خالطوا الجهمية أو تلقوا عنهم، أو جادلوهم على غير أسس سليمة وبغير استعداد، **فصارت مقالات الجهمية الضالة بمثابة الجراح البليغة التي أمرضت الأمة في عقيدتها وعلمها ودينها وسائر أحوالها**، ومن ذلك:

**١- ظهور المرجئة والجبرية:**

المرجئة الخالصة هم الجبرية الخالصة، وهم الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على أفعاله، كالريشة في مهب الريح، فهو بزعمهم مجبور: لا حرية له ولا اختيار، وهذه هي المرجئة والجبرية التي قال بها الجهمية الخالصة، ثم تأثرت بها الجبرية غير الخالصة وهي مرجئة الفقهاء، **فقد نتجت عن مقالات الجهمية في الجبر والإرجاء الأصول التالية:**

١ ـ أن الإيمان هو المعرفة، وهذا قول الجهمية.

٢ ـ أن الإيمان هو التصديق، وهذا قول مرجئة الفقهاء.

٣ ـ أن الإنسان لا يضره مع الإيمان ذنب (الإرجاء الخالص)، وهو قول الجهمية.

٤ ـ أن إيمان جبريل وفرعون واحد، وهو قول الجهمية.
٥ ـ أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، وهو قول الجهمية ومرجئة الفقهاء.
٦ ـ أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو قول جميعهم كذلك.
٧ ـ أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان، وهو قول جميعهم كذلك.

**قال شيخ الإسلام**: «ولم يعرف أحد من السلف قال: إن الله أكره أحداً على معصية، بل أبلغ من ذلك أن لفظ الجبر منعوا من إطلاقه، كالأوزاعي، والثوري، والزبيدي، وعبدالرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل وغيرهم. نهوا عن أن يقال: إن الله جبر العباد، وقالوا: إن هذا بدعة في الشرع. وهو مفهم للمعنى الفاسد».

«قال الأوزاعي وغيره: إن السنة جاءت بِجَبَلَ ولم تأت بَجَبَرَ. .»[1] . . . ثم ذكر الحديث وقول النبي ﷺ لأشجّ عبدالقيس وفيه: «**بل خلقين جُبلتَ عليهما**»[2] أي فطرك الله عليهما.

**قال أبوبكر الخلال في كتاب السنة**: «الرد على القدرية وقولهم إن الله أجبر العباد على المعاصي» ثم روى عن عمرو

---

(١) الفتاوى (١٦/ ١٤١ ـ ١٤٢).
(٢) الفتاوى (١٦/ ١٤٢)، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، رقم (١٨).

ابن عثمان عن بقية بن الوليد قال: سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر، فقال الزبيدي: أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحب.

وقال الأوزاعي: ما أعرف للجبر أصلاً في القرآن ولا في السنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلق والجَبْل. فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ، وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل تابعي من أهل الجماعة والتصديق»[١].

**قال شيخ الإسلام بعده:** «فهذان الجوابان اللذان ذكرهما هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين من أحسن الأجوبة..»[٢].

**وقال شيخ الإسلام:** «لفظ «الجبر» لم يرد في كتاب ولا سنة، لا بنفي ولا إثبات، واللفظ إنما يكون له حرمة إذا ثبت عن المعصوم»[٣]... «أما الألفاظ المحدثة مثل لفظ «الجبر» فهو مثل لفظ الجهة والحيز ونحو ذلك»[٤].

«فقال الأوزاعي والزبيدي وغيرهما: نقول: جَبَلَ، ولا

---

(١) الفتاوى (٣/ ٣٢٣).
(٢) الفتاوى (٣/ ٣٢٣).
(٣) منهاج السنة (٣/ ٢٤٦).
(٤) منهاج السنة (٣/ ٢٤٦).

نقول جَبَرَ؛ لأن الجَبْلَ جاءت به السنة»[١]، كما في حديث أشج عبدالقيس[٢].

**٢ـ تمكن الجهمية والمعتزلة في الدولة وأثره:**

كما تمكنت الجهمية والمعتزلة من الدولة في عهد المأمون وبعده، فرضت عقائدها الفاسدة بقوة السلطان، واستعدت السلطان على أهل السنة، وأوقعت المسلمين في محن وفتنة عظيمة.

**قال شيخ الإسلام**: «ولكن قوي أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق، وتلقى عن هؤلاء ما تلقاه، ثم لما ولي الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء ودعا إلى قولهم في آخر عمره، وكتب إلى بغداد وهو في الثغر بطرسوس التي ببلد سيس ـ وكانت إذ ذاك أعظم ثغور بغداد، ومن أعظم ثغور المسلمين يقصدها أهل الدين من كل ناحية ويرابطون بها، رابط بها الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ والسري السقطي وغيرهما، وتولى قضاءها أبوعبيد، وتولى قضاءها أيضًا صالح بن أحمد بن حنبل، ولهذا ذكرت في كتب الفقه كثيراً فإنها كانت ثغراً عظيماً ـ فكتب من الثغر إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب كتاباً يدعو الناس فيه إلى أن

---

(١) السابق (٣/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، رقم (١٨).

يقولوا: القرآن مخلوق، فلم يجبه أحد، ثم كتب كتاباً ثانياً يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وإرساله إليه، فأجاب أكثرهم ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا، فأجاب منهم خمسة بعد القيد، وبقي اثنان لم يجيبا: الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، فأرسلوهما إليه، فمات قبل أن يصلا إليه، ثم أوصى إلى أخيه أبي إسحاق، وكان هذا سنة ثماني عشرة ومائتين.

وبقي أحمد في الحبس إلى سنة عشرين، فجرى ما جرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة، ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه، وظهر مذهب النفاة الجهمية، وامتحنوا الناس، فصار من أجابهم أعطوه وإلا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات ولم يقبلوا شهادته، وكانوا إذا افتكُّوا الأسرى يمتحنون الأسير، فإن أجابهم افتدوه وإلا لم يفتدوه، وكتب قاضيهم أحمد بن أبي دؤاد على ستارة الكعبة: «ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم»، لم يكتب «وهو السميع البصير»، ثم ولي الواثق واشتد الأمر إلى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذٍ السنة، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود أن أئمة المسلمين لما عرفوا حقيقة قول الجهمية بيَّنوه حتى قال عبدالله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية»[١].

---

(١) الفتاوى (١٣/ ١٨٣، ١٨٤).

**٣ـ موافقة بعض الفرق وأهل الأهواء للجهمية في بدعهم:**

ومن آثار مذهب الجهمية النكدة أن تلقفته الفرق وأهل الأهواء، وزادت به فرقتها عن السنة والجماعة، وتظاهرت بهذه البدع وقويت بها، وكثرت مناظراتها ومجادلاتها في مذهب الجهمية ومقالاتها، وكثر التعطيل والتأويل لصفات الله تعالى، وتجرأ الناس في ذلك، وقَلَّت هيبتهم وإجلالهم لله تعالى، وكثر الجبر والإرجاء والإعراض عن السنة، والتهكم بالسلف ولمزهم وسبهم.

**قال شيخ الإسلام:** «وجهم اشتهر عنه نوعان من البدعة: نوع في الأسماء والصفات، فغلا في نفي الأسماء والصفات، ووافقه على ذلك ملاحدة الباطنية والفلاسفة ونحوهم، ووافقه المعتزلة في نفي الصفات دون الأسماء، والكلابية ومن وافقهم من السالمية، ومن سلك مسلكهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية، وافقوه على نفي الصفات الاختيارية دون نفي أصل الصفات، والكرامية ونحوهم وافقوه على أصل ذلك، وهو امتناع دوام ما لا يتناهى، وأنه يمتنع أن يكون الله لم يزل متكلماً إذا شاء، وفعالاً لما يشاء إذا شاء؛ لامتناع حوادث لا أول لها، وهو عن هذا الأصل الذي هو نفي وجود ما لا يتناهى في المستقبل قال بفناء الجنة والنار، وقد وافقه أبوالهذيل إمام المعتزلة على هذا لكن قال بتناهي الحركات»[1].

---

(١) الفتاوى (١٤/٣٤٨).

**وقال في الجهم مبيِّناً متابعة الأشعري له في ذلك:** «اشتهر عنه بدعتان: إحداهما: نفي الصفات، والثانية: الغلو في القدر والإرجاء، فجعل الإيمان مجرد معرفة القلب، وجعل العباد لا فعل لهم ولا قدرة، وهذان مما غلت المعتزلة في خلافه فيهما، وأما الأشعري فوافقه على أصل قوله ولكن قد ينازعه منازعات لفظية. وجهم لا يثبت شيئاً من الصفات، لا الإرادة ولا غيرها، فإذا قال: إن الله يحب الطاعات ويبغض المعاصي فمعناه الثواب والعقاب»[1]، وهذا ما يقول به غالب الأشاعرة.

**٤ ـ أثر الجهمية وأصولها ومقالاتها في سائر الفرق:**

تشعبت أصول الجهمية وعقائدها في سائر الفرق كالمعتزلة، والصوفية، والفلاسفة، والباطنية، وأهل الكلام (متكلمة الأشاعرة والماتريدية ومن سلك سبيلهم).

**قال شيخ الإسلام:** «وقول جهم هو النفي المحض لصفات الله تعالى، وهو حقيقة قول القرامطة الباطنية ومنحرفي المتفلسفة كالفارابي وابن سينا، وأما مقتصدة الفلاسفة كأبي البركات، صاحب المعتبر، وابن رشد الحفيد، ففي قولهم من الإثبات ما هو خير من قول جهم، فإن المشهور عنهم إثبات الأسماء الحسنى وإثبات أحكام الصفات، ففي الجملة قولهم خير من قول جهم، وقول ضرار بن عمرو الكوفي خير من

---

(١) الفتاوى (٨/ ٢٣٠).

قولهم، وأما ابن كلاب والقلانسي والأشعري فليسوا من هذا الباب، بل هؤلاء معروفون بالصفاتية، مشهورون بمذهب الإثبات، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية»[١].

**وقال شيخ الإسلام أيضًا:** «وجهم اشتهر عنه نوعان من البدعة: نوع في الأسماء والصفات، فغلا في النفي، ووافقه على ذلك الباطنية والفلاسفة ونحوهم، والمعتزلة في الصفات دون الأسماء، والكلابية ومن وافقهم من الفقهاء وأهل الحديث في نفي الصفات الاختيارية، والكرامية ونحوهم وافقوه على أصل ذلك. . .».

«وقال بفناء الجنة والنار، ووافقه أبوالهذيل إمام المعتزلة على هذا، لكن قال: تتناهى الحركات»[٢].

**وقال:** «فالمعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية»[٣].

**وقال:** «وكذلك الأشعرية، ولكنهم كما قال أبو إسماعيل الأنصاري: الأشعرية الإناث هم مخانيث المعتزلة»[٤].

**وقال:** «ومن الناس من يقول: المعتزلة مخانيث الفلاسفة؛ لأنه لم يعلم أن جهماً سبقهم إلى هذا

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٢٠٥، ٢٠٦).
(٢) الفتاوى (٨/ ٢٢٧).
(٣) الفتاوى (٨/ ٢٢٧).
(٤) الفتاوى (٨/ ٢٢٧).

الأصل»[1].

**آثاره في ظهور مقالات فرق الباطنية:**

في عهد المأمون أثمرت أصول الجهمية ثمارها النكدة، كما كان أئمة السلف يحذرون، فأعلنت الجهمية أصولها وألزمت الناس بها بقوة السلطة، وأظهرت الفرق الباطنية القرامطة والإسماعيلية حقيقة قول الجهمية: التعطيل والإلحاد.

**قال شيخ الإسلام:** «ثم في أواخر عصر التابعين ظهر التكلم ببدعة الجهمية نفاة الصفات، ولم يكن لهم اجتماع وسلطان إلا بعد المائة الثانية في إمارة أبي العباس الملقب بالمأمون، فإنه أظهر التجهم، وامتحن الناس عليه، وعرَّب كتب الأعاجم: من الروم واليونانيين وغيرهم، وفي زمنه ظهرت الخرمية، وهم زنادقة منافقون، يظهرون الإسلام، وتفرعوا بعد ذلك إلى القرامطة والباطنية والإسماعيلية، وأكثر هؤلاء ينتحلون الرفض في الظاهر، وصارت الرافضة الإمامية في زمن بني بويه بعد المائة الثالثة فيهم عامة هذه الأهواء المضلة: فيهم الخروج والرفض والقدر والتجهم»[2].

**الأشعري والأشاعرة يوافقون جهماً في بعض أصوله:**

الأشعري رجع عن مذهب الاعتزال والتجهم، وأعلن

---

(١) الفتاوى (٨/ ٢٢٧).

(٢) الفتاوى (٢٨/ ٤٩٠، ٤٩١).

أتباع مذهب أهل السنة والجماعة والانتصار له، لكن بقيت عنده بعض الرواسب الكلامية التي جعلته يتابع الجهمية في أشياء في الصفات والقدر.

**قال شيخ الإسلام:** «وأما الأشعري فوافقه على أصل قوله، ولكن قد ينازعه منازعات لفظية، وجهم لم يثبت شيئاً من الصفات، لا الإرادة ولا غيرها، فهو إذا قال: إن الله يحب الطاعات ويبغض المعاصي، فمعنى ذلك عنده الثواب والعقاب، وأما الأشعري فهو يثبت الصفات ـ كالإرادة ـ فاحتاج حينئذٍ أن يتكلم في الإرادة، هل هي المحبة أم لا؟ وأن المعاصي هل يحبها الله أم لا؟ فقال: إن المعاصي يحبها الله ويرضاها كما يريدها، وذكر أبوالمعالي الجويني أنه أول من قال ذلك، وأن أهل السنة قبله كانوا يقولون: إن الله لا يحب المعاصي، وذكر الأشعري في الموجز أنه قد قال ذلك قبله طائفة، سماهم، أشك في بعضهم»[١].

أما الأشاعرة المتأخرون فكانوا أكثر قرباً من مذهب جهم في الصفات؛ لأنهم اعتمدوا التأويل والقول بالمجاز في الصفات ونحوها أكثر من الأشعري نفسه، كما سيأتي تفصيله في الكلام عند الأشاعرة في حَلْقة تالية إن شاء الله.

---

(١) الفتاوى (١٤/ ٣٥٣).

**موافقة ابن كلاب للجهمية في بعض أصولهم:**

كان ابن كلاب ينتسب للسلف أهل الحديث، لكنه سلك في مجادلته للجهمية المعتزلة طرائق كلامية نهىٰ عنها السلف، وأوقعته في موافقة الجهمية في أشياء كنفي تعليق صفات الله تعالى بالمشيئة، ولذا قال بقدم كلام الله وأزليته، وأن القرآن كذلك قديم وهو عبارة عن كلام الله، وقد انحرف بذلك عن مذهب السلف.

**قال شيخ الإسلام:** «وأول من أنكر هذا (يعني الاستواء) في الإسلام الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة، وكانوا ينكرون الصفات والعلو على العرش، ثم جاء ابن كلاب فخالفهم في ذلك وأثبت الصفات والعلو على العرش، لكن وافقهم على أنه لا تقوم به الأمور الاختيارية، ولهذا أحدث قوله في القرآن: إنه قديم لم يتكلم به بقدرته، ولا يعرف هذا القول عن أحد من السلف»[١].

**أصول الجهمية وضلالاتها انتشرت في جميع الفرق فيما بعد:**

لما انهزمت الجهمية والمعتزلة في وجه وقفة السلف التي ثبت بها الإمام أحمد، انتقض كيانها بصفاتها فرق فاتحة لكنها انسابت بين الفرق الأخرى: الرافضة، والخوارج، والزيدية، والمرجئة، والجبرية، وأهل الكلام الكلابية والأشاعرة،

---

(١) الفتاوى (٥/٤٦٦).

والماتريدية، والكرامية، والباطنية، والصوفية، والفلاسفة، كل فرقة فيها أصل أو أكثر من أصول الجهمية، وسيأتي مزيد تفصيل لأثر الجهمية في سائر الفرق في آخر هذا البحث إن شاء الله.

أما عن سبب تأثير الجهمية في الفرق الأخرى فذلك لأن الجهمية هي التي أسست القاعدة التي قامت عليها عقائد الفرق ومقالاتها فيما بعد، وهي الاعتماد على العقليات في تقرير العقيدة وما تفرع عن ذلك من التعطيل والتأويل والمجاز والتجهيل والتخييل والتمثيل، والباطنية.

* * *

# موقف السلف من الجهمية
# ومن سلك سبيلهم وحكمهم فيهم

منذ ظهرت مقولات الجهمية الأولى التي قال بها الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان أنكرها السلف إنكاراً شديداً، وأدركوا لوازمها الإلحادية، ومراميها الخطيرة، فوقفوا في وجهها وردُّوا على أصحابها وبيَّنوا عوارها، وحذَّروا الأمة من مقولاتها وعقائدها وأصولها الضالة.

وأحكام السلف ومواقفهم كانت ضد مقالات الجهمية، حتى وإن كان قائلها لا يعد جهمياً خالصاً، فكل من قال بقول من أقوال الجهمية بدَّعوه وجهَّموه وردَّوا عليه، سواء كان جهمياً أصلياً، أو معتزلياً، أو رافضياً، أو خارجياً، أو أشعرياً، أو ممن ينتسبون لأهل الحديث ـ وإن كان هذا قليلاً جداً ـ أو غيرهم، لكن المعتزلة أقرب للجهمية؛ لأن أصولهما متقاربة ومناهجهما ومقالاتهما متشابهة، وكذلك متكلمة الأشاعرة والماتريدية، وكثير من أهل العلم يسميهم كلهم جهمية، وهذا أقرب للصواب.

**ومن مواقف السلف تجاه الجهمية وأحكامهم:**

ما روى عبدالله بن الإمام أحمد في السنة بإسناد صحيح: «حدثني إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، سمعت يزيد بن

هارون يقول: لعن الله الجهم ومن قال بقوله، كان كافراً، جاحداً، ترك الصلاة أربعين يوماً يزعم أنه يرتاد ديناً، وذلك أنه شك في الإسلام. قال يزيد: قتله سلم بن أحوز على هذا القول»[(١)].

**وقال:** حدثني محمد بن إسحاق الصاغاني، حدثني يحيى بن أيوب، سمعت أبا نعيم البلخي شجاع بن أبي نصر قال: سمعت رجلاً من أصحاب جهم كان يقول بقوله، وكان خاصاً به ثم تركه، وجعل يهتف بكفره. قال: رأيت جهماً يوماً افتتح سورة «طه» فلما أتى على هذه الآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قال: لو وجدت السبيل إلى حكّها لحككتها»[(٢)].

وقد تكلم الأئمة في تكفيرهم في وقت مبكر، قبل القرن الثالث وقبل المحنة، منهم: سلام بن أبي مطيع الإمام الثقة القدوة (ت١٧٣هـ) قال: «الجهمية كفار لا يُصلى خلفهم»[(٣)].

«وأما مالك بن أنس فنُقِلَ عنه من غير وجه الرد على من يقول القرآن مخلوق، واستتابته، وهذا المشهور عنه متفق عليه

---

(١) السنة لأبي عبدالرحمن (١/١٦٧).
(٢) السنة لأبي عبدالرحمن (١/١٦٧)، وخلق أفعال العباد للبخاري (١٢)، وصحح الألباني سنده في مختصر العلو (ص١٦٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/٤٢٩).

بين أصحابه»[١].

**وقال البخاري في خلق أفعال العباد والرد على الجهمية:** «باب ما ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يُبدّلوا كلام الله عز وجل».

وقد بدأ البخاري في تقرير عقيدة السلف وإجماع أهل العلم على القول بأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فقال: «حدثني الحكم بن محمد الطبري ـ كتبت عنه بمكة ـ قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق»[٢][٣].

**ثم ذكر بعض مواقف العلماء من الجهمية وحكمهم فيهم فقال:** «وقال أحمد بن الحسن: حدثنا أبونعيم، حدثنا سليمان القارئ قال: سمعت سفيان الثوري يقول: قال لي حماد بن أبي

---

(١) الفتاوى (١٢/٥٠٦).

(٢) خلق أفعال العباد (ص٢٩).

(٣) يلاحظ أن أكثر أحكام السلف في الجهمية وتكفيرهم لهم كان من خلال مقولتهم الشنيعة بأن القرآن مخلوق، وربما يفهم بعض الناس أنه ليس للجهمية إلا هذا القول. والصحيح أن مقولتهم هذه (بأن القرآن مخلوق) إنما هي نتيجة وثمرة نكدة لأصولهم الفلسفية الفاسدة التي تقوم على تعطيل الصفات، واشتهرت هذه المسألة لأنهم ألزموا الناس بها في عهد المأمون وبعده، وصارت بسببها المحنة المشهورة.

سليمان: أبلغ أبا فلان المشرك أني بريء من دينه. وكان يقول القرآن مخلوق»[١].

**وقال:** «حدثنا قتيبة، حدثني القاسم بن محمد، حدثنا عبدالرحمن بن محمد بن حبيبة عن أبيه عن جده قال: شهدت خالد بن عبدالله القسري بواسط في يوم أضحى، وقال: ارجعوا فضحوا، تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم. زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلّم موسى تكليماً، تعالى الله علواً كبيراً عما يقول ابن درهم، ثم نزل فذبحه»[٢].

**ثم قال البخاري:** «قال قتيبة: بلغني أن جهماً كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم»[٣].

**ثم ذكر قول عبدالله بن إدريس الأودي في الجهمية قال:** «حدثنا محمد بن عبدالله جعفر البغدادي قال: سمعت أبا زكريا يحيى بن يوسف الزمي قال: كنا عند عبدالله بن إدريس فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد، ما تقول في قوم يقولون: القرآن مخلوق؟ فقال: أمن اليهود؟ قال: لا، قال: فمن النصارى؟ قال: لا، قال: فمن المجوس؟ قال: لا، قال: فمن؟ قال: من أصل التوحيد. قال: **ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء**

---

(١) خلق أفعال العباد (ص٢٩).
(٢) خلق أفعال العباد (ص٢٩، ٣٠).
(٣) خلق أفعال العباد (ص٣٠).

الزنادقة. من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق، يقول الله: بسم الله الرحمن الرحيم.

فالله لا يكون مخلوقاً، والرحمن لا يكون مخلوقاً، والرحيم لا يكون مخلوقاً، وهذا أصل الزنادقة، من قال هذا فعليه لعنة الله، لا تجالسوهم ولا تناكحوهم»[١].

وقول وهب بن جرير: «الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى»[٢].

وقول يزيد بن هارون: «وحلف يزيد بن هارون بالله الذي لا إله إلا هو، من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتل»[٣].

وقول أبي بكر بن عياش: «وقيل لأبي بكر بن عياش: إن قوماً ببغداد يقولون: إنه مخلوق. فقال: ويلك من قال هذا؟ على من قال القرآن مخلوق لعنة الله، وهو كافر زنديق، ولا تجالسوهم»[٤].

---

(١) خلق أفعال العباد (ص٢٩، ٣٠). وانظر السنة لأبي عبدالرحمن (١/ ١١٣، ١١٤) مع اختلاف يسير، وقال المحقق: رجاله ثقات.

(٢) خلق أفعال العباد (ص٣٠).

(٣) خلق أفعال العباد (ص٣٠)، وانظر: السنة لأبي عبدالرحمن (١/ ١٢٢)، الروايات (٤٩ ـ ٥٢)، قال المحقق: رجاله ثقات.

(٤) خلق أفعال العباد (ص٣٠).

**وقال الثوري:** «من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وقال حماد بن زيد: القرآن كلام الله نزل به جبرائيل، ما يجادلون إلا أنه ليس في السماء إله»(١).

**وأقوال ابن المبارك:**

«وقال ابن مقاتل: سمعت ابن المبارك يقول: من قال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ مخلوق، فهو كافر، لا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك».

**وقال أيضاً:**

**فلا أقول بقول الجهم إن له ... قولاً يضارع قول الشرك أحيانا**
**ولا أقول تخلى من بريته ... رب العباد وولى الأمر شيطانا**
**ما قال فرعون هذا في تجبره ... فرعون موسى ولا فرعون هامانا**

**وقال ابن المبارك:**

لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض هاهنا، بل على العرش استوى، وقيل له: كيف تعرف ربنا..؟ قال: فوق سمواته على عرشه، وقال لرجل منهم: أتظنك خالياً منه؟ فبهت الآخر وقال: من قال لا إله إلا هو مخلوق، فهو كافر، وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية»(٢).

---

(١) خلق أفعال العباد (ص٣١).
(٢) خلق أفعال العباد (ص٣٠، ٣١)، وانظر: السنة لأبي عبدالرحمن =

**وقول سعيد بن عامر:**

«وقال سعيد بن عامر: الجهمية أشر قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان أن الله تبارك وتعالى على العرش، وقالوا: هم ليس على العرش شيء»[(١)].

**وقال علي:** «إن الذين قالوا إن لله ولداً أكفر من الذين قالوا إن الله لا يتكلم.

**وقال:** احذر من المريس وأصحابه، فإن كلامهم يستجلب الزندقة، وأنا كلمت أستاذهم جهماً فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً.

**قول إسماعيل بن أبي أويس:**

«وكان إسماعيل بن أبي أويس يسميهم زنادقة العراق، وقيل له: سمعت أحداً يقول: القرآن مخلوق، فقال: هؤلاء الزنادقة والله، لقد فررت إلى اليمن حين سمعت العباس يتكلم بهذا ببغداد فراراً من هذا الكلام»[(٢)].

**ثم قال البخاري:**

«نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت

---

= (١/ ١١١)، وقال المحقق: «إسناده صحيح»، الرواية (٢٢، ٢٣).

(١) خلق أفعال العباد (ص٣١).

(٢) خلق أفعال العباد (ص٣٢).

أضل في كفرهم منهم، وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم»[١].

**ثم ذكر قول سفيان بن عيينة:**

«وقال عبدالرحمن بن عفان: ذكر أمام سفيان بن عيينة التي ضرب فيها المريس، فقام ابن عيينة من مجلسه مغضباً فقال: وَيْحَكُمْ! القرآن كلام الله، قد صحبت الناس وأدركتهم، هذا عمرو بن دينار، وهذا ابن المنكدر، حتى ذكروا منصور والأعمش، ومسعر بن كدام، فقال ابن عيينة: قد تكلموا في الاعتزال والرفض والقدر وأمروا باجتناب القوم، فما نعرف القرآن إلا كلام الله، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله، ما أشبه هذا القول بقول النصارى، ولا تجالسوهم ولا تسمعوا كلامهم»[٢].

«وقال عبدالله بن محمد: سمعت ابن عيينة وذكر المريس فقال: ما تقول الدويبة، ما تقول الدويبة..؟ استهزاء به، قال: وسمعت محمد بن عبيد يقول: جاء ذاك الخبيث فسألني عن حديث ولو عرفته ما حدثته»[٣].

**وقول سلام بن أبي مطيع:**

وقال زهير السختياني: سمعت سلام بن أبي مطيع يقول:

---

(١) خلق أفعال العباد (ص٣٣).
(٢) خلق أفعال العباد (ص٣٣).
(٣) خلق أفعال العباد (ص٣٣).

الجهمية كفار»[١].

**وقول وكيع:**

«وقال وكيع: أحدثوا هؤلاء المرجئة الجهمية والجهمية، كفار، والمريس جهمي، وعلمتم كيف كفروا. قالوا: يكفيك المعرفة، وهذا كفر، والمرجئة يقولون: الإيمان قول بلا فعل، وهذا بدعة، فمن قال القرآن مخلوق فهو كافر بما أنزل على محمد ﷺ، يستتاب وإلا ضربت عنقه. وقال وكيع: على المريس لعنة الله، يهودي أو نصراني. قال له رجل: كان أبوه أو جده يهودياً أو نصرانياً؟ قال وكيع: عليه وعلى أصحابه لعنة الله، القرآن كلام الله. وضرب وكيع إحدى يديه على الأخرى، وقال: سيئ ببغداد يقال له المريس يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[٢].

**وقال وكيع أيضًا:**

«الرافضة شرٌّ من القدرية، والحرورية شرٌّ منهما، والجهمية شرٌّ هذه الأصناف»[٣].

**وقول عبيد الله بن عائشة:**

«وقال عبيد الله بن عائشة: لا نصلي خلف من قال القرآن

---

(١) خلق أفعال العباد (ص١٢).
(٢) خلق أفعال العباد (ص٣٤).
(٣) خلق أفعال العباد (ص٣٩).

مخلوق ولا كرامة له، فإن صلى وكبر كيما يحتاط لنفسه فزال، ويجتنبه أحب إليَّ، ولأنهم يقولون: شيء لا شيء، يقولون: الله لا شيء»[(١)].

وقول عبدالرحمن بن مهدي:

«وقال عبدالرحمن بن مهدي: هما ملتان: الجهمية، والرافضة، وقيل لابن عبيد: إن المريس سئل عن ابتداء خلق الأشياء عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

**قال البخاري:** «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافض أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم».

«**وقال ابن الأسود:** سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد: لو أن جهمياً بيني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئاً، وقال ابن مهدي: ولو رأيت رجلاً على الجسر وبيدي سيف يقول القرآن مخلوق لضربت عنقه»[(٢)].

**ثم ذكر قول الفضيل بن عياض:**

«وقال الفضيل بن عياض: إذا قال لك جهمي: أنا أكفر

---

(١) خلق أفعال العباد (ص٣٤).

(٢) خلق أفعال العباد (ص٣٥).

بربٍّ يزول عن مكانه فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء»[١].

لقد أدرك السلف مرامي الجهمية ونزوعهم إلى التعطيل، قال البغوي: «قيل لعبدالرحمن بن مهدي: إن الجهمية يقولون: إن القرآن مخلوق، فقال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الرحمن على العرش استوى، وأرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلَّم موسى، وأرادوا أن ينفوا أن يكون القرآن كلام الله، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم»[٢].

روى إسحاق بن إبراهيم بن هاني النيسابوري عن الإمام أحمد في مسائله: أن من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر»[٣]. وأن من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق لا يُصلَّى خلفه»[٤]. وأن الجهمية «قوم سوء»[٥].

وأخرج عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة بسند جيد عن المعتمر بن سليمان التيمي عن أبيه قال: ليس قوم أشد نقضاً للإسلام من الجهمية والقدرية، فأما الجهمية فقد بارزوا الله تعالى، وأما القدرية فإنهم قالوا في الله عز وجل»[٦].

---

(١) خلق أفعال العباد (ص٣٦).
(٢) شرح السنة (١/ ١٨٧).
(٣) مسائل الإمام أحمد، رواية إسحاق النيسابوري (٢/ ١٥٢).
(٤) مسائل الإمام أحمد، رواية إسحاق النيسابوري (٢/ ١٥٢).
(٥) السابق (٢/ ١٥٢).
(٦) السنة (١/ ١٠٤، ١٠٥)، وانظر الهامش للدكتور محمد سعيد القحطاني.

وأخرج بإسناد صحيح عن سلام بن أبي مطيع (ت١٦٤هـ) يقول: الجهمية كفار لا يُصلَّى خلفهم»[١].

**وقال أبوعبدالرحمن:** «حدثني الحسن بن عيسى [وهو ثقة] مولى عبدالله بن المبارك قال: كان ابن المبارك يقول: الجهمية كفار»[٢].

**إجماع الأئمة على تكفير الجهمية لقولهم إن القرآن مخلوق:**

**قال شيخ الإسلام:** قال أبوالقاسم اللالكائي ـ وقد سمى علماء القرون الفاضلة ومن يليهم الذين نقل عنهم في كتابه أن القرآن كلام الله غير مخلوق ـ: فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً من التابعين وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين، سوى الصحابة على اختلاف الأعصار، ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام، ممن أخذ الناس بقولهم وتمذهبوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة، فنقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر، لا ينكر عليهم المنكر، ومن أنكر قولهم استتابوه، أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه، قال: ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال القرآن مخلوق الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان، وكلاهما قتله المسلمون، وممن أفتى بقتل هؤلاء مالك بن أنس، ومحمد بن

---

(١) السنة (١/ ١٠٥)، وانظر الهامش للدكتور محمد سعيد القحطاني.
(٢) السنة (١/ ١٠٩).

عبدالرحمن بن أبي ليلى، وسفيان بن عيينة، وأبوجعفر المنصور الخليفة، ومعتمر بن سليمان، ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمن بن مهدي، ومعاذ بن معاذ، ووكيع بن الجراح، وعبدالله بن داود الخريبي، وبشر بن الوليد، صاحب أبي يوسف، وأبومصعب الزهري، وأبوعبيد القاسم بن سلام، وأبوثور، وأحمد بن حنبل، وغير هؤلاء من الأئمة»[١].

**وذكر أبوعبدالرحمن عبدالله بن أحمد ممن كفَّر الجهمية:** وكيع بن الجراح ـ رحمه الله ـ[٢]، وحماد بن زيد، ومعتمر بن سليمان[٣]، وعبدالرحمن بن مهدي[٤]، ويزيد بن هارون[٥]، والإمام أحمد، قال أبوعبدالرحمن: سمعت أبي رحمه الله يقول: «من قال القرآن مخلوق، فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله ـ عز وجل ـ وفيه أسماء الله عز وجل»[٦].

وبالجملة فإن السلف أجمعوا على تكفير الجهمية

---

(١) الفتاوى (١٢/٤١٩، ٤٢٠)، وانظر: اللالكائي «شرح أصول السنة» (٢/٢٤٣) وما بعدها.

(٢) انظر: السنة لعبدالله (١/١١٤ ـ ١١٧).

(٣) انظر: السنة لعبدالله (١/١١٧ ـ ١١٩).

(٤) انظر: السنة لعبدالله (١/١١٩ ـ ١٢١).

(٥) انظر: السنة لعبدالله (١/١٢١ ـ ١٢٣).

(٦) انظر: السنة لعبدالله (١/١٠٢)، ومسائل الإمام أحمد لابن هانيء (٢/١٥٣، ١٥٤).

لإنكارهم صفات الله تعالى عموماً.

وأجمعوا على تكفير من أنكر صفة من صفات الله تعالى الثابتة بالنصوص القطعية، كالاستواء والعلو والفوقية، والمحبة والخلة، والكلام ونحوها، أو قال بأن القرآن مخلوق، أو أنكر الرؤية أو الشفاعة.

كما أجمعوا على أن من فعل شيئاً من ذلك فهو جهمي سواء انتسب للجهمية الخالصة، أو للمعتزلة، أو الخوارج، أو الرافضة، أو الصوفية، أو متكلمة الأشاعرة والماتريدية، أو غيرهم، أو لم ينتسب لأحد. كما ذكرت في أكثر من موضوع من هذا البحث.

* * *

## والخلاصة

أن مذهب الجهمية أخطر المذاهب الضالة وأعظمها نكاية في الأمة بعد مذاهب الباطنية والرافضة، وتقوم أصولهم على مناهج الفلاسفة أعداء الرسل والشرائع الإلهية.

كما أن مذاهب الجهمية أثرت تأثيراً بالغاً في غرس الفرقة والشتات بين المسلمين، وإشغالهم عن دينهم ودنياهم بالمراء والجدال والمهاترات والقول على الله بغير علم، وإدخال المناهج الكلامية والفلسفية على الأمة.

ولذلك لا تخلو فرقة من الفرق المفارقة للحق، المجانبة للسنة والجماعة من التأثر بالجهمية إما بالفعل وهو الغالب، أو بردة الفعل.

**فقد دخلت مناهج الجهمية في أصول الشيعة والرافضة والباطنية والصوفية والخوارج، ومن يسمون بالفلاسفة الإسلاميين**، وكذلك نهجت الفرق الكلامية الأشعرية والماتريدية منهج الجهمية في كثير من أصولها مثل الإرجاء والجبر، والتأويل، وتقديم العقل على النقل، والقول بالمجاز في أسماء الله وصفاته، وسائر الغيبيات أو بعضها، وإنكار أفعال الله تعالى، ولمز السلف وسبِّهم وتنقص علمهم

ومناهجهم، والقول على الله بغير علم، والجرأة على الكلام في الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله بغير دليل، وسلوك طريق الفلاسفة الخراصين في التلقي والاستدلال وتقرير التوحيد والرد على المخالفين، وإثارة الشبهات، والشكوك ومحارات العقول.

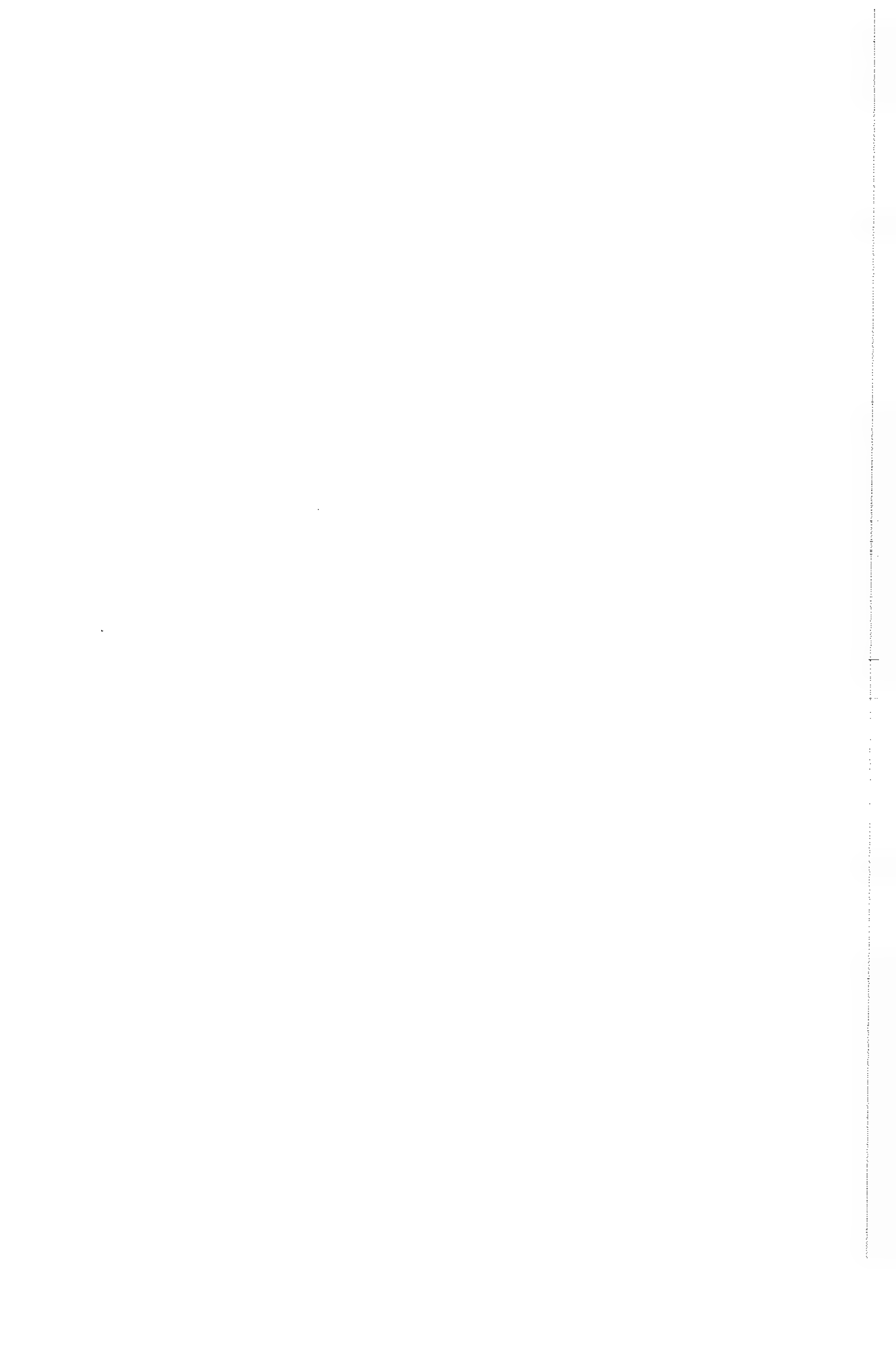
ونحو ذلك مما جاءت به الجهمية وأوقعت به كثيراً من الفرق والأفراد، إما باتخاذ هذه المناهج وسلوكها، أو معارضتها على غير أصول شرعية وبغير مناهج السلف مما أوقع الكثير في الغلو وردود الأفعال كالتجسيم كما فعلت فرق الرافضة الأولى والكرامية ونسب عن المقاتلية.

**وهذه الآثار ـ أعني آثار الجهمية ـ لا تزال قائمة في أصول هذه الفرق، ولدى مناهج بعض المعاصرين من المذاهب والاتجاهات والأفراد** كما سيأتي بيانه عن المعتزلة التي هي الوارث الأول لأصول الجهمية ومناهجها، وعن متكلمة الأشاعرة والماتريدية الوارث الثاني لتلك الأصول والمناهج، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

# المعتزلـــة

## نشأتها وأصولها وسماتها ورؤوسها
## وموقف السلف منها قديماً وحديثاً



# المعتزلـــة

**تعريف المعتزلة:**

**المعتزلة**: فرقة عقلانية كلامية فلسفية تتكون من طوائف من أهل الكلام الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومناهج الاستدلال، ومنهج تقرير العقيدة، وفي أصول الاعتقاد. وتجمعهم غالباً الأصول الخمسة وهي:

١ ـ **المنزلة بين المنزلتين**، وهو قولهم بأن الفاسق الملّي (مرتكب الكبيرة) لا مؤمن ولا كافر. بل في منزلة بينهما!.

٢ ـ **التوحيد**، ويقصدون به نفي صفات الله تعالى.

٣ ـ **العدل**، ويقصدون به نفي القدر.

٤ ـ **الوعد والوعيد**، أو (إنفاذ الوعيد)، وهو زعمهم أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار إذا مات على كبيرته.

٥ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ويقصدون به الخروج على ولاة الأمور، وإلزام الناس بمقالاتهم وعقائدهم.

**فمن قال بهذه الأمور أو أكثرها فهو معتزلي.**

**سبب ظهورهم وتسميتهم بالمعتزلة:**

سميت المعتزلة بهذا الاسم لاعتزال واصل بن عطاء المتوفى سنة (١٣١هـ). وعمرو بن عبيد المتوفى سنة (١٤٢هـ)، مجلس الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠هـ) تقريباً، بعد أن نازعه واصل في مسألة مرتكب الكبيرة، حين سُئل عنها الحسن البصري فانبرى واصل، وقال: أنا أقول بأنه لا مؤمن ولا كافر إنما هو في المنزلة بين المنزلتين. فاختلف في ذلك مع الحسن، فاعتزل مجلس الحسن (درسه) وانضم إليه عمرو بن عبيد وانحاز إليهما طائفة من الناس، وعقدوا حلقة في ناحية المسجد، فسموا: معتزلة، وهذا هو الراجح[١].

وقيل: سموا معتزلة: لأنهم اعتزلوا جماعة المسلمين وأئمتهم وخالفوهم، وهذا حق.

ويمكن الجمع بين القولين، إذ إن المعتزلة حينما اعتزلوا مجلس الحسن فعلاً بسبب هذه المقولة إنما فعلوا ذلك لأنهم خالفوا جماعة المسلمين بعقائدهم هذه، فاعتزلوهم معنىً وحساً.

والحسن البصري من أئمة المسلمين آنذاك، ومخالفتهم

---

(١) انظر: الفتاوى (٣/ ١٨٢، ١٨٣).

له ليست مخالفة شخصية، إنما هي خروج عن عقيدة المسلمين واعتزال لجماعتهم.

**قال شيخ الإسلام**: «فجاء بعدهم المعتزلة الذين اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري، وهم: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء الغزالي وأتباعهما، فقالوا: أهل الكبائر مخلدون في النار، كما قالت الخوارج، ولا نسميهم لا مؤمنين ولا كفاراً، بل فساق ننزلهم منزلة بين منزلتين، وأنكروا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وأن يخرج من النار بعد أن يدخلها...»[(١)].

فيفهم من كلام شيخ الإسلام هنا أن من مفهوم الاعتزال الذي وصفت به هذه الطائفة: الاعتزال عن جماعة المسلمين اعتقاداً وعملاً، وهذا هو الحاصل فعلاً.

**وقال**: «وأما المعتزلة فامتازوا بالمنزلة بين المنزلتين كما أحدثه عمرو بن عبيد، وكان هو وأصحابه يجلسون معتزلين للجماعة، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة، وكان ذلك بعد موت الحسن»[(٢)].

ولعله يقصد قول قتادة وغيره إنما كان بعد موت الحسن، أما حدوث قصة اعتزالهم وبدايتها ففي حياة الحسن وبين يديه،

---

(١) الفتاوى (٧/ ٤٨٤).
(٢) الفتاوى (٨/ ٢٢٨).

كما سبق بيانه.

**وقال:** «فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين بقليل ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء ومن اتبعهما من أهل الكلام والاعتزال»[١]، ولعله يقصد ظهور الشهرة، أما البداية فكما ذكرت.

**وقال شيخ الإسلام أيضاً:** «وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة، وقالوا: إنهم كفار مخلدون في النار، فخاض الناس في ذلك، وخاض في ذلك القدرية بعد موت الحسن البصري، فقال عمرو بن عبيد وأصحابه: لا هم مسلمون ولا كفار؛ بل لهم منزلة بين المنزلتين، وهم مخلدون في النار، فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون، وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شيء، ولكن لم يسموهم كفاراً، واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصري مثل قتادة وأيوب السختياني وأمثالهما؛ فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن، وقيل: إن قتادة كان يقول: أولئك المعتزلة»[٢].

وقوله: «إنهم سموا معتزلة بعد موت الحسن»، يُفهم منه ما سبق بيانه من أن المقصود أنهم اتصفوا بالاعتزال العقدي مع

---

(١) الفتاوى (١٠/٣٥٨).
(٢) الفتاوى (١٣/٣٧، ٣٨).

الاعتزال الفعلي، وهو الانفصال عن مجلس الحسن البصري أولاً، ثم فاصلوا جماعة المسلمين تبعاً لذلك، كما يفهم منه أن تسميتهم بالمعتزلة إنما اشتهرت بعد موت الحسن، لكنها بدأت في آخر حياته ـ والله أعلم.

**وبهذا نخلص إلى أن سبب ظهور المعتزلة وإشهارها لمقولتها الأولى (المنزلة بين المنزلتين) وما أعقب ذلك من إعلان خروجها عن السنة والجماعة: هو تلكم المسألة الكبرى التي أثارتها الخوارج والمرجئة حول حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا والآخرة، وما صاحب ذلك من مواقف الناس المتباينة في ذلك، وكثرة الجدال والمراء حولها، حتى أدت إلى فتن وأحداثٍ جسام من الخوارج،** ومع أن عامة المسلمين كانوا آنذاك على السنة، ومع أن العلماء وأئمة السنة كانوا يقفون بحزم وقوة ضد هذه المقولات وأصحابها إلا أنها نفذت إلى عقول مرضى القلوب وضعاف الإيمان وقليلي البضاعة من الفقه في الدين ومن العلم الشرعي.

كما تبيَّن لنا بوضوح من خلال القصة أن مذهب المعتزلة لم يكن في حقيقته وأصوله وليد تلكم الساعة التي حصلت فيها مخالفة واصل للحسن البصري والعلماء وأهل السنة، لكنها فيما يظهر القشة التي قصمت ظهر البعير، أي أنها كانت فرصة هيأت لواصل وزميله عمرو بن عبيد الفرصة لإظهار عقائدهم التي لم تكن عفوية، والله أعلم.

**نسبة مذهب المعتزلة إلى السلف خطأ فاحش:**

من الأخطاء العلمية والعقدية والتاريخية الشنيعة نسبة مذهب المعتزلة إلى السلف من الصحابة أو التابعين، فقد زعم بعض أهل المقالات كالنوبختي والقمي من الشيعة، وبعض المستشرقين ومن تابعهم أن أصل المعتزلة وأسلافهم هم أولئك النفر من الصحابة الذين اعتزلوا الفريقين بعد مقتل عثمان (في صفين والجمل)[١] وذكر هذا الملطي في التنبيه والرد[٢] ولم يرده، كما أن هذه دعوى بعض المعتزلة أنفسهم.

وهذا خطأ فاحش، فإن أولئك من خيار الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، وهم بريئون من مقالات المعتزلة المجانبة للسنة، والمعتزلة حادثة بعدهم ولم تكن مقالاتها تعرف، ولما ظهرت أول مقالاتها في القدرية الأولى (معبد الجهني وغيلان الدمشقي) أنكرها الصحابة أمثال ابن عمر وابن عمرو وهما ممن اعتزل الفتنة وكذلك ابن عباس.

ويزعم بعض المعتزلة أن مذهب المعتزلة يعود إلى علي بن أبي طالب وابنه محمد بن الحنفية، ثم ابنه أبي هاشم أستاذ واصل بن عطاء[٣]، وهذه فرية كبرى على علي رضي الله

---

(١) انظر: فرق الشيعة للنوبختي (١٨) ومثله القمي.
(٢) انظر: التنبيه والرد للملطي ص(٣٦، ٤١).
(٣) انظر: المنية والأمل لابن المرتضى ص(٤، ٥) وأدب المعتزلة ص(١١٢).

عنه وابنه وحفيده.

بل إن بعضهم نسب مذهبهم إلى الرسول ﷺ[١]، ومنهم من انتحل الحسن البصري ونسب مذهب المعتزلة إليه[٢]، وكيف يكون ذلك والحسن هو أول من أنكر مذهب المعتزلة، وكل هذه مفتريات داحضة بحمد الله.

**ألقابهم:**

١ ـ **المعتزلة**: لما سبق ذكره من اعتزالهم مجلس الحسن البصري، واعتزالهم جماعة المسلمين بعقائدهم الضالة.

٢ ـ **الجهمية**: لأنهم وافقوا جهماً في كثير من أصوله في التعطيل وغيره، ولأن السلف صاروا يطلقون وصف الجهمية على كل من سلك منهج النفي والتعطيل والتأويل في الصفات والسمعيات ونحوها، فيصفون من قال: كلام الله مخلوق، أو القرآن مخلوق (جهمي) ومن أنكر الرؤية (جهمي)، ومن أنكر الاستواء (جهمي) وهكذا، وكل هذه من أصول المعتزلة.

٣ ـ **أهل الكلام**: لأن أسسهم التي بنوا عليها مقالاتهم كلامية لا أصل لها من الشرع.

٤ ـ **العقلانية**: لأنهم يغلون في تقديم العقل وتحكيمه،

---

(١) انظر: فضل الاعتزال ص(٦٨).

(٢) انظر: فضل الاعتزال ص(١١٩)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٧).

ويجعلونه حاكماً على الشرع.

٥ ـ **الوعيدية**: لأنهم يقولون بتخليد مرتكب الكبيرة في النار إذا مات مصراً عليها.

٦ ـ **القدرية**: لأنهم ينكرون القدر، ويزعمون أن الإنسان مقدر أفعاله، أو بعض أفعاله، وأن الله لم يقدر أفعال العباد أو بعضها.

٧ ـ **المعطلة**: لأنهم ينفون صفات الله تعالى وأفعاله.

وهم قد يسمون أنفسهم: «أهل العدل، وأهل التوحيد، وأهل الحق، والفرقة الناجية»، ونحوها من الألقاب التي يدعيها سائر أهل الأهواء والبدع والافتراق، لكنها عند التحقيق وتطبيق الميزان الشرعي والعلمي لا تصح لهم، وكل يدَّعي وصل ليلىٰ، لكن يقال لهم هاتوا برهانكم، فالبرهان إنما هو مع أهل السنة والجماعة وسبيل المؤمنين ولله الحمد والمنة.

* * *

# نشأة مذهب المعتزلة

نشأ مذهب المعتزلة في مطلع القرن الثاني الهجري، قبل سنة (١١٠هـ) تقريباً؛ لأن مبدأ المعتزلة من قصة واصل بن عطاء مع الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠ هـ) تقريباً، وأصول نشأة المعتزلة لها ثلاث شعب، وكل شعبة تمثل مرحلة، على النحو التالي:

**المرحلة الأولى: الجانب القدري منها**، وهو امتداد للقدرية الأولى التي ظهرت في آخر القرن الأول (أي حوالي سنة ٦٣هـ) تقريباً، وهي قدرية معبد الجهني (ت٨٠هـ) ثم قدرية غيلان الدمشقي (ت١٠٥هـ)، حيث أصبحت المعتزلة هي وريثة هذه التركة، وأصبح اسم القدرية بعد ذلك يطلق على المعتزلة نفسها.

**والمرحلة الثانية: ما أنشأته المعتزلة من مبادئ جديدة مبتدعة حول حكم مرتكب الكبيرة**، وهي ما سموه المنزلة بين المنزلتين وما يتفرع عنها من مقالات وأحكام. وهذه المقولة ظهرت فيما يبدو في آخر القرن الأول وأول القرن الثاني الهجري، حيث حدثت قصتها في آخر حياة الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠هـ) تقريباً، كما أسلفت. وفي هذه المرحلة اشتهر وصفها بالمعتزلة.

**والمرحلة الثالثة: الجانب المتعلق بالصفات والسمعيات**، وهو التعطيل والتأويل، فكانت فيه المعتزلة تبعاً للجهمية، فقد تلقفت أصولها في نفي الصفات عنها، والجهمية بدأت مقالاتها في التعطيل ظاهرة على لسان الجعد بن درهم المقتول سنة (١١٨هـ) تقريباً. وهذا بُعيد نشوء مقالة المعتزلة الأولى، والله أعلم[١].

وقد تتلمذ المعتزلة الأوائل على الجعد بن درهم، وأخذوا عنه إنكار الصفات، ثم لما ظهر الجهم وتوسع في نشر مذهب الجعد، أخذ عنه أصحاب عمرو بن عبيد كما ذكر الإمام أحمد، قال في حديثه عن الجهم ونشأة مقالته: «وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدَّث عنه رسوله كان كافراً، وكان من المشبهة، فأضل بكلامه بشراً كثيراً، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية»[٢].

ولم تكن الأصول الخمسة التي اشتهرت عن المعتزلة واضحة المعالم في أول نشأة المعتزلة، وإن كانت لها جذور، لكن مع تطور مقولاتهم تبلورت حتى صارت أصولاً يكادون

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٦٤) (رشيد).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص(١٠٤، ١٠٥).

يتفقون عليها في الجملة، مما جعل الخياط (ت٣٠٠هـ) في كتابه (الانتصار) يقول عن فرق المعتزلة: «ولكن ليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي»(١).

وكانت المعتزلة منذ نشأتها نشاز بين الأمة وعقائدها، ممقوتة مغمورة طيلة القرن الثاني، ثم بدأ أمر المعتزلة بالظهور أيام المأمون مع بداية القرن الثالث الهجري، ولا زالوا في صعود أيام المأمون والمعتصم والواثق إلى أن جاء المتوكل سنة (٢٣٢هـ) حيث بدأ نجمهم بالأفول، ومع ذلك بقي لهم وجود وحلق، ورؤوس كالشحام (ت٢٦٧هـ) رأس المعتزلة في وقته في البصرة، ثم خلفه أبوعلي الجبائي (ت٣٠٣هـ) شيخ الأشعري، ثم خلفه ابنه أبوهاشم الجبائي (٣٢١هـ) وما زال أمرهم بانحسار حتى أنه في عام (٢٧٩هـ) صدر أمر الخليفة المتوكل بمنع بيع كتب الكلام والفلسفة(٢)، ومنها كتب المعتزلة.

---

(١) الانتصار (١٢٦، ١٢٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٦٤)، والكامل (٧/ ٤٥٣) والعبر (١/ ٤٠٠)، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود (٢/ ٣٩٤).

وفي عهد بني بويه الذين دخلوا بغداد سنة (٣٣٤هـ) مالوا إلى التشيع والاعتزال، ومع الزمن تسللت ـ في القرن الرابع والخامس وبعدهما ـ عقائد المعتزلة في الفرق كالأشاعرة والماتريدية والرافضة، والخوارج وغيرها، كل فرقة ورثت ما يناسبها من أصول المعتزلة، وبقيت للمعتزلة بعض الخلايا والأشياع عبر التاريخ إلى يومنا هذا، من الجماعات والاتجاهات، مثل: حزب التحرير، والعصرانيين، والعقلانيين، والحداثيين، والأفراد مثل: الترابي، والنشار، ومحمد عبده، وأحمد أمين، وزكي نجيب محمود، ومحمد عمارة وأمثالهم كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

**تزامن نشأة الاعتزال والتجهم والتجسيم:**

كان ظهور الفرق الكلامية الأولى وهم الجهمية والمعتزلة والمجسمة متزامناً، وذلك في النصف الأول من القرن الثاني، يقول الذهبي بعد نهاية كلامه عن الطبقة الرابعة في الثلث الأول من القرن الثاني:

«وفي هذا الزمان ظهر: عمرو بن عبيد (العابد) وواصل بن عطاء الغزال، ودعوا الناس إلى الاعتزال والقول بالقدر، وظهر بخراسان: الجهم بن صفوان ودعا إلى تعطيل الرب ـ عز وجل ـ وخلق القرآن. وظهر بخراسان قبالته: مقاتل بن سليمان المفسر وبالغ في إثبات الصفات حتى جسَّم.

وقام على هؤلاء علماءُ التابعين وأئمة السلف وحذروا من بدعهم، وشرع الكبار في تدوين السنن وتأليف الفروع وتصنيف العربية. . »[١].

**شيوخ المعتزلة الأوائل هم أول من وصفوا بالمتكلمين:**

ظهرت كلمة (متكلم) (والكلام) وإطلاقها على أهل الأهواء الذين يتكلمون في العقائد برأيهم في أول القرن الثاني الهجري، ثم أطلق على المعتزلة والجهمية (متكلمون) و(أهل الكلام) وبعد القرن الثالث صارت وصفاً للأشاعرة والماتريدية، لكن أول من وُصِفَ بها (واصل بن عطاء) رأس المعتزلة.

**قال شيخ الإسلام:** «وما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين، فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء أنه متكلم، ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام»[٢].

**رؤوس المعتزلة:**

رؤوسُ المعتزلة من دهاة المتكلمين أهلُ جدلٍ ومراءٍ وذكاء، وأهل الذكاء والجدل إذا لم يوفقهم الله ويتفقهوا في دين الله ويتلقوا عن العلماء ويهتدوا بهدي السلف؛ فإنهم

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) الفتاوى (٣/ ١٨٤).

يكونون (غالباً) رؤوساً في الضلالة إذا خاضوا في العقائد، لما يعتريهم من التيه والغرور والاعتماد على ذكائهم وعقولهم، وشيوخ المعتزلة هم من هذا الصنف، ومن أبرزهم:

**١ ـ واصل بن عطاء (ت١٣١هـ) مؤسس المعتزلة:**

يعد واصل بن عطاء ـ أبوحذيفة المخزومي مولاهم البصري الغزال ـ المؤسس الأول للمعتزلة، وإن كان عمرو بن عبيد لا يقل عنه خطورة وربما لا يقل عنه أخباراً وأثراً، لكن واصل هو الذي أنشأ الاعتزال بإعلانه في مجلس الحسن البصري أن الفاسق الملِّي لا مؤمن ولا كافر، وأنه في منزلة بين المنزلتين، ثم انضم إليه عمرو بن عبيد.

وكان الحسن البصري قد طرد واصلاً من حلقته[١] لإصراره على بدعته.

قال الذهبي في ترجمة واصل: «وهو من رؤوس المعتزلة بل معلمهم الأول»[٢].

وقال الذهبي أيضاً في واصل: «وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل، ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعنيها، فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بَقْلٍ لم أحكم

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، وشذرات الذهب (١/ ١٨٣).

(٢) تاريخ الإسلام (١٢١ ـ ١٤٠/ ٥٥٨).

بشهادتهم»(١). فانظروا إلى هذا الغرور والصلف، الذي أدىٰ بواصل وأمثاله إلى الطعن في خيار صحابة رسول الله ﷺ وزوجه وأحب النساء إليه. نعوذ بالله من الهوىٰ.

وقد تلمذ زيد بن علي بن الحسين، على واصل بن عطاء وعنه أخذ الاعتزال(٢) فصارت الزيدية معتزلة منذ نشأتها، وهي من فرق الشيعة الكبرى، ومن فرق المعتزلة كذلك.

**نشر واصل بن عطاء لمذهب المعتزلة في سائر بلاد المسلمين:**

من سمات أهل الأهواء قوة حماسهم لنشر مذاهبهم وتفانيهم في ذلك، وإبداعهم في تنظيم صفوفهم، وهذا ما كان يفعله واصل حينما اشتهرت مقالته، فإنه في الوقت الذي كان المسلمون مشغولين فيه بالجهاد وتوطيد أركان الإسلام وتعليم المسلمين دينهم، كان واصل بن عطاء يبعث بعوثه إلى دينه المبتدع الجديد، وكأن الأمة لم تعرف الإسلام والسنة إلا بظهور مذهبه الكلامي العقلاني الجديد.

**فقد أرسل واصل بعوثه إلى سائر الأقاليم لدعوة الناس إلى بدعه الجديدة ومن بعوثه(٣):**

---

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ٣٢٩).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٠) (كيلاني).

(٣) انظر: المنية والأمل ص(١٩ ـ ٢٠)، وطبقات المعتزلة للقاضي عبدالجبار =

١ ـ عثمان الطويل (المعتزلي المشهور) تاجر بعثه واصل إلى أرمينية.

٢ ـ وحفص بن سالم إلى خراسان.

٣ ـ والقاسم السعدي إلى اليمن.

٤ ـ والحسن بن ذكوان إلى اليمن.

٥ ـ وأيوب إلى الجزيرة.

٦ ـ وعبدالله بن الحارث إلى بلاد المغرب.

وأسهم كل واحد من هؤلاء في وضع بذرة مذهب المعتزلة في هذه الأقاليم، مما ساعد على سرعة ظهور الفرقة وتشتيت الأمة،وخروج طوائف منها عن السنة.

فانظر واعتبر أخي القارئ الكريم، كيف يرسل واصل بعوثه إلى أقاليم المسلمين للدعوة لمذهبه المبتدع الجديد، وكأن الأمة كلها ضالة منحرفة تحتاج إلى من يرشدها، مع العلم أن الأمة كلها ـ في ذلك الوقت ـ مع السنة إلا شراذم من الفرق الخارجة. فإلام سيدعو هؤلاء المعتزلة ما دامت الأمة على السنة والحق في قرونها الذهبية؟!

ثم تأمل حال بعض المفتونين بين ظهرانينا الآن الذين يستنون بمثل هذه الأفكار ويبثونها في المنتديات وعبر شتى

---

= (٢٣٧، ٢٤١، ٢٥١)، ومقدمة مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣)، وانظر: نشأة الفكر للنشار (١/ ٤٠٥)، وما بعدها، وكذلك (١/ ٣٨٣، ٣٨٤).

الوسائل وكأنهم يدعون إلى دين جديد، وقد فتنوا بعض الشباب الغر والسذج والجهال وحسبنا الله ونعم الوكيل.

**أصول واصل بن عطاء أو المعتزلة الأولى (الواصلية):**

أول أصل بدعي أعلنه واصل بن عطاء هو القول بالمنزلة بين المنزلتين، كما سبق بيانه، ثم توسع واصل وتلاميذه إلى بدع أخرى.

**قال الشهرستاني عن أصول الواصلية:** «واعتزالهم يدور على أربع قواعد:

**القاعدة الأولى:** «القول بنفي الصفات»(١).

**القاعدة الثانية:** «القول بالقدر، وإنما سلكوا مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي»(٢).

**القاعدة الثالثة:** «القول بالمنزلة بين المنزلتين»(٣).

**القاعدة الرابعة:** «قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين: إن أحدهما مخطئ لا بعينه»(٤).

وتابع عمرو بن عبيد واصلاً في مقولاته هذه؛ وفي هذه الفترة لم تكتمل الأصول الخمسة التي صارت فيما بعد أصولاً للمعتزلة.

---

(١) الملل والنحل (١/ ٤٦ ـ ٤٩).

(٢) الملل والنحل (١/ ٤٧)، وانظر: الانتصار (١٢٦، ١٢٧).

(٣) الملل والنحل (١/ ٤٨)، وانظر: الانتصار (١٢٦، ١٢٧).

(٤) الملل والنحل (١/ ٤٩)، وانظر: الانتصار (١٢٦، ١٢٧).

وبقيت المعتزلة تدور على هذه الأصول التي أخذها عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء حتى جاء أبوالهذيل العلاف (ت٢٢٦هـ) فانفرد عنهم بمقولات كثيرة ووسَّع مذهبهم.

**٢ ـ عمرو بن عبيد أبوعثمان البصري المتوفى (١٤٢هـ):**

عمرو بن عبيد هو الرأس الثاني للمعتزلة، وبعضهم يعده المنظِّر الأول، إنما سبقه واصل بإعلان الاعتزال، ولعل سبب كثرة أخبار عمرو أنه عاش بعد واصل أكثر من عشر سنين، كما يظهر أنه أكثر جرأة ونشاطاً في نشر المذهب الاعتزالي من واصل.

**قال فيه الذهبي**: «عمر بن عبيد المعتزلي ابن باب أبوعثمان البصري الزاهد العابد رأس المعتزلة»[١].

وبعض أهل العلم يرى أنه الرأس الأول في المعتزلة، قال النيسابوري: سمعت أبا عبدالله (يعني الإمام أحمد) يقول: كان عمرو بن عبيد رأس المعتزلة وأولهم في الاعتزال، روى عنه الثوري، وكان الربيع بن صبيح معتزلياً، وكان خيراً من عمرو بن عبيد»[٢].

---

(١) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٣٨).
(٢) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (١/ ١٦٣).

وتتلخص مقالات عمرو بن عبيد بما يلي:

١ ـ قوله بالمنزلة بين المنزلتين، كما يقول واصل بن عطاء.

٢ ـ إنكاره للقدر ومتابعته للقدرية الأولى الغيلانية والمعبدية.

٣ ـ متابعته للجهم بن صفوان والجعد بن درهم في التعطيل وإنكار الصفات[١].

٤ ـ الجرأة في ردِّ الأحاديث التي تخالف عقيدته مثل أحاديث الصفات، والقدر كحديث الصادق المصدوق.

٥ ـ الجرأة على سبِّ السلف من الصحابة ومن دونهم.

**سوء مذهب عمرو بن عبيد في القرآن:**

قال الذهبي: «وقال معاذ بن معاذ: سمعت عمراً يقول: إن كان ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ في اللوح المحفوظ فما لله على ابن آدم حجة»[٢].

**قلت**: يشير بذلك إلى إنكار القدر، ويزعم أن الله لم يقدر الضلالة والشقاوة على أبي لهب، وهي من شبهات القدرية.

وأخرج عبدالله بن أحمد بسنده عن ثابت البناني: «رأيت عمرو بن عبيد وهو يحكُّ المصحف، فقلت: ما تصنع؟ قال:

---

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (١٠٤، ١٠٥).
(٢) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/٢٣٨، ٢٣٩).

أثبت مكانها خيراً منها»[١]، وقد ورد في بعض الروايات أنها رؤيا منام[٢]، ولعل هذا هو الراجح.

**سوء مذهبه في السنة:**

**وقال معاذ بن معاذ:** وسمعت عمرو بن عبيد يقول، وذكر حديث الصادق المصدوق فقال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدَّقته، أو قال: لما أجبته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا»[٣].

**قلت:** الحكاية فيها غرابة، وما أظن الأمر يصل بعمرو بن عبيد إلى هذا المبلغ، لأنه مهما بلغ من الضلال فلا يجرؤ على مثل هذا في ذلك الوقت، ولو قاله لقطعت عنقه.

ويحتمل أن يكون قصده أن هذا لا يكون أصلاً إنما قال ذلك جدلاً. لكن هذا أمرٌ عظيم يستوي جده وهزله في حق الله ورسوله، فعلى أية حال إن كان قال هذا الكلام جاداً أو هازلاً

---

(١) السنة (٢/ ٤٣٥)، وانظر: اللالكائي رقم (١٣٧١)، وتاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٣٩).

(٢) كما عند اللالكائي برقم (١٣٧١) وتاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٣٩).

(٣) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٣٩)، وانظر: السنة لعبدالله (٢/ ٤٤٢ رقم ٩٩٠).

فهو كفر وضلال مبين، وهو من علامات الخذلان، نسأل الله العافية والسلامة.

**عمرو بن عبيد ليس بثقة في الحديث:**

**قال ابن حجر:** «هو عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة، وكان سيئ الضبط»(١).

**وقال النسائي:** «عمرو ليس بثقة»(٢).

**وقال ابن المبارك:** «كان عمرو بن عبيد يدعو إلى القدر فتركوه»(٣).

**وقال الفلاس:** «كان يحيى يحدثنا عن عمرو بن عبيد ثم تركه»(٤).

**وقال النسائي أيضًا:** «متروك الحديث»(٥).

**وقال أيوب ويونس:** «يكذب»(٦).

**قلت:** يندر من أهل الأهواء ورءوس البدع من هو ثقة في الحديث، والهوى والبدعة جارحان للعدالة أصلاً.

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٢).

(٢) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٤).

(٦) المرجع السابق.

**سوء مذهبه في الصحابة والسلف:**

هذا وقد اشتهر عن عمرو بن عبيد أنه كان يسبُّ السلف.

**قال ابن حبان:** «وكان يشتم الصحابة»[١].

وقال بردِّ شهادة طلحة والزبير وعلي وعثمان ـ رضي الله عنهم[٢].

**وقال:** «قبح الله سمرة»[٣]، يعني الصحابي الجليلَ ابنَ جندب.

ولما ذكر عنده الأئمة: أيوب ويونس وابن عون والتيمي قال: «أولئك أرجاس أنجاس أموات غير أحياء»[٤].

**قلت:** وهؤلاء الأئمة الأعلام الذين يسبهم عمرو بن عبيد هم أئمة السنة والجماعة في زمانهم، فإذا كان هذا رأي عمرو بن عبيد وأضرابه وأخلافه من المتقدمين والمعاصرين في أئمة السنة، فماذا سيكون رأيهم فيمن هم دونهم؟! وماذا أبقوا للأمة؟!

وكان عمرو بن عبيد أول من لمز السلف بالحشوية، ثم توارثتها المعتزلة والجهمية ثم متكلمة الأشاعرة والماتريدية إلى

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٤).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٥).

(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٤).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٤).

يومنا هذا (فحسبنا الله ونعم الوكيل).

**قال شيخ الإسلام في إطلاق لفظ الحشوية:**

«وقد قيل: إن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد فقال: كان عبدالله بن عمر حشوياً، وكان هذا اللفظ في اصطلاح من قاله يريد به العامة الذين هم حشو، كما تقول الرافضة عن مذهب أهل السنة: مذهب الجمهور»[١].

**موقف السلف من عمرو بن عبيد وبدعه:**

أخرج عبدالله بن أحمد بسنده عن حماد بن زيد قال: كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم فمرَّ عمرو بن عبيد فسلَّم عليهم ووقف وقفة فما ردوا عليه السلام، ثم جاز فما ذكروه»[٢].

**وقال عبدالله:** حدثني أبومعمر، نا سفيان بن عيينة قال: «قال عمرو بن عبيد: أليس قد نهاك أبوك أن تجالسني؟ قلت: بلى»[٣].

ولما نهىٰ السلف عن مجالسة عمرو بن عبيد لبدعته تركه الناس وهجروه، فلما سئل عن ذلك قال: «نهى الناسَ عني ابنُ

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٥٢١).
(٢) السنة لعبدالله (٢/ ٤٣٥)، والكامل لابن عدي (٥/ ١٧٥١).
(٣) السنة لعبدالله (٢/ ٤٣٦).

عون فانتهوا»[١].

**وقال عبدالله بن أحمد:** حدثني أبي، نا عفان، نا حماد بن سلمة قال: «كان حميد من أكفهم عنه (يعني عمرو بن عبيد)، قال: فجاء ذات يوم إلى حميد، قال: فحدثنا حميد بحديث، قال عمرو: كان الحسن يقوله. فقال حميد: لا تأخذ عن هذا شيئاً فإنه يكذب على الحسن، كان يأتي الحسن بعدما أسنّ فيقول: يا أبا سعيد، أليس تقول كذا وكذا؟ للشيء الذي ليس هو من قوله قال: فيقول الشيخ برأسه هكذا»[٢].

**قلت:** هذا من أساليب أهل الأهواء؛ ينتزعون ما يوافق أهواءهم بمثل هذه الأساليب الرديئة الملبسة.

**قال الذهبي:** «وقال أبوداود: قال سلام بن أبي مطيع البصري (ت١٧٣هـ): لأن ألقى الله تعالى بصحيفة الحجاج أحب إلي من أن ألقاه بصحيفة عمرو بن عبيد»[٣] يعني أن بدعة عمرو بن عبيد أعظم في خطرها ووزرها من مظالم الحجاج التي هي من كبائر الذنوب. كما أن الحجاج لقي الله بذنوبه، ولم تكن لها آثار بعده، أما بدعة عمرو بن عبيد وأمثاله فقد صارت سنة سيئة، اقتفى أثره فيها فرق وطوائف كثيرة ولا

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٤).

(٢) السنة لعبدالله (٢/ ٤٣٦) وسنده صحيح، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٧٥٧).

(٣) تاريخ الإسلام (١٧١ ـ ١٨٠/ ١٤٢).

تزال. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

**وقال الشاطبي في المواطن التي يجوز فيها التشهير بالفرق:** «(والثاني): حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها وتزيينها في قلوب العوام ومن لا علم عنده، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس، وهم من شياطين الإنس، فلابد من التصريح بأنهم من أهل البدعة والضلالة، ونسبتهم إلى الفرق إذ قامت له الشهود على أنهم منهم، كما اشتهر عن عمرو بن عبيد وغيره. فروى عاصم الأحول، قال: جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه ونال، فقلت: أبا الخطاب، أولا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض؟ فقال: يا أحول أولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تُذكر حتى تُحذر؟ فجئت من عند قتادة وأنا مغتمٌّ بما سمعت من قتادة في عمرو بن عبيد، وما رأيت من نسكه وهديه، فوضعت رأسي نصف النهار وإذا عمرو بن عبيد والمصحف في حجره وهو يحك آية من كتاب الله، فقلت: سبحان الله! أتحك آية من كتاب الله؟ قال: إني سأعيدها، قال: فتركته حتى حكَّها. فقلت له: أعدها، فقال: لا أستطيع[1].

فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم؛ لأن ما يعود

---

(١) وقد أخرج هذه القصة الذهبي في تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/٢٣٩)، وقال: «رواها ثقتان عن حزم» يعني حزم القطيعي عن الأحول.

على المسلمين من ضررهم إذا تركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعداوة»[١].

روى الهروي في ذم الكلام بسنده عن أبي حنيفة أنه قال: «لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام»[٢]. ومن ذلك: الكلام في القدر والصفات والغيبيات الأخرى، ومشكلات المسائل.

وروى الهروي (في ذم الكلام) بسنده إلى عبدالرحمن بن مهدي قال: دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن، فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمراً فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل»[٣].

ولما أشهر عمرو بن عبيد بدعته ودعا إليها، وصار من دعاة البدعة، ردَّ أهلُ الحديث روايته على قاعدتهم.

«**وقال نعيم بن حماد:** قيل لابن المبارك: لِمَ رويت عن سعيد وهشام الدستوائي وتركت حديث عمرو بن عبيد ورأيهم

---

(١) الاعتصام (٢/٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) ذم الكلام للهروي (مخطوط) (٣٣١).

(٣) ذم الكلام (مخطوط) (٢٩٤).

واحد؟ قال: كان عمرو يدعو إلى رأيه وكانا ساكتين»[١].

«وقال **أبوعوانة**: ما جالست عمراً إلا مرة فتكلم وطوّل ثم قال: لو نزل مَلَكٌ من السماء ما زادكم على هذا»[٢].

**قلت**: من سمات أهل الأهواء التعالي والغرور والجرأة والتهور! كما فعل عمرو بن عبيد هنا، حين تاه في غُروره حتى جعل كلامه كما وصف. نسأل الله العافية والسلامة.

«وقال **أحمد بن حنبل**: بلغني عن ابن عيينة قال: حجَّ أيوب وعمرو بن عبيد فطاف أيوب حتى أصبح، وخاصم عمرو حتى أصبح»[٣].

**قلت**: فانظر أخي القارئ واعتبر بين الأنموذجين، فهذا أيوب السختياني الإمام العابد كان شغله طوال الليل الطواف وطاعة الله والعبادة والنسك وتعظيم شعائر الله. وهذا عمرو بن عبيد سهر ليله في المراء والخصومات التي نهى الله عنها، وبالباطل كذلك، وشتان بين مشرق ومغرب.

وعن معمر قال: ما عددت عمرو بن عبيد عاقلاً قط»[٤].

---

(١) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٤١).

(٢) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٤٢)، والسنة لعبدالله (٢/ ٤٣٦)، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٣) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٤٢).

(٤) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٤٢).

«**وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه**: سمعت ابن معين يقول: كان عمرو بن عبيد من الدهرية.

**قلت**: وما الدهرية؟ قال: الذين يقولون الناس مثل الزرع، وكان يرى السيف»(١).

ويعني بمثل الزرع: أن الله خلقهم هملاً بلا حكمة ولا قدر. هكذا تزعم الدّهرية، وهذا ما يؤول إليه قول القدرية والمعتزلة حين نفوا القدر.

**ورثة عمرو بن عبيد في بدعته:**

أخذ كبار المعتزلة في القرن الثاني والثالث هذا المذهب الاعتزالي الخبيث عن عمرو بن عبيد.

**قال محيي الدين عبدالحميد**: «فعن عمرو بن عبيد أخذ بشر بن المعتمر وأبوالهذيل العلاف. وعن أبي الهذيل أخذ ابن أخته إبراهيم بن سيار النظّام، وهشام بن عمرو الشيباني المعروف بالفوطي، وأبو يوسف الشحام البصري، وعن النظّام أخذ الجاحظ وابن أبي دؤاد، وعن الشحام أخذ الجبّائي، وعن الجاحظ أخذ أبوموسى بن صبيح، وعن أبي موسى أخذ جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب، وعنهما أخذ محمد بن عبدالله الإسكافي، وعن أبي علي الجبائي أخذ ابنه أبوهاشم»(٢).

---

(١) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٢٤٢).

(٢) مقدمة مقالات الإسلاميين، كتبها محمد محيي الدين عبدالحميد، ص(٢٠).

**٣ ـ أبوالهذيل العلاف المتوفى سنة (٢٢٦هـ):**

يعد أبوالهذيل من كبار المعتزلة وصاحب مدرسة كبرى من مدارسهم حيث توسع في بدع المعتزلة، وتكلم في الصفات بكلام لم يسبق إليه، أخذه عن الفلاسفة والنصارى[(١)]، وله مقالات فلسفية ومحاورات كلامية معقدة في القدر والصفات، ومن أشهرها قوله: إن حركات أهل الجنة وأهل النار تنقطع، ويصيرون إلى سكون دائم، وهذا شبيه بقول الجهم بفناء الجنة والنار[(٢)] وقد اشتهر بالفسق[(٣)].

**وقال الذهبي عنه**: «شيخ الكلام ورأس الاعتزال»، وكان المأمون والمعتصم والواثق يعظمونه، حتى صار إمام المعتزلة في زمانه[(٤)].

**يقول الملطي**: «أبوالهذيل هذا لم يدرك في أهل الجدل مثله، وهو أبوهم وأستاذهم، وكان الوزير ابن أبي دؤاد من تلامذته».

**قلت**: ولما عظموا صاحب البدعة وقدَّموه وقعت الفتنة،

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/١٧٨)، والملل والنحل للشهرستاني (١/٤٩ ـ ٥٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٢).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/٥١)، وانظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٤٣).

(٤) انظر: الفتاوي لشيخ الإسلام (١٤/٣٤٨).

وامتحنوا أهل السنة.

**٤ ـ النظام إبراهيم بن يسار المتوفى سنة (٢٣١هـ):**

والنظام مع أنه من كبار المعتزلة، إلا أنه مضطرب المسلك، ومشهور بالفسق[١]، وهو من دهاة المعتزلة وعتاتهم، وأخذ عن الفلاسفة مقولات فلسفية كثيرة، وأعلن التشيع: «وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة»[٢]، **ومن مقولاته التي انفرد بها عن أصحابه:**

١ ـ **زعمه أن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي**[٣]، وهذا موافق لقول المجوس والفلاسفة.

كما وافق الفلاسفة في أن الإنسان هو النفس والروح[٤].

وفي نفي الجزء الذي لا يتجزأ[٥].

٢ ـ **وأحدث القول بالطفرة**[٦].

٣ ـ **وزعم أن الإعجاز في القرآن إنما هو أن الله تعالى صرف العباد عن القدرة عن الإتيان بمثله**، ولأنه اشتمل على الأخبار الماضية والآتية مما لا علم له به، لا لأنه معجز

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤١).
(٢) الملل والنحل (١/ ٥٣).
(٣) الملل والنحل (١/ ٥٤).
(٤) الملل والنحل (١/ ٥٥).
(٥) الملل والنحل (١/ ٥٥).
(٦) الملل والنحل (١/ ٥٥، ٥٦).

بذاته[١].

٤ ـ وأنكر حجية الإجماع والقياس[٢].

٥ ـ وقد اشتهر تشيعه ومن ذلك: ميله للرفض، وزعمه أن الحجة فيما سماه قول الإمام المعصوم، وهي مقولة شيعية رافضية، ووقيعته بالصحابة كعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، وتكذيبه لابن مسعود في حديثه «السعيد من سعد في بطن أمه» وحديث «انشقاق القمر»[٣].

٦ ـ إنكاره للجن[٤].

وقد وافق النظام على مقولاته كل من:

* الأسواري (ت٢٤٠هـ) وزاد عليه[٥].
* وأبوجعفر الإسكافي (ت٢٤٠هـ) وزاد عليه[٦].
* والجعفران: جعفر بن مبشر (ت٢٣٦هـ)، وجعفر بن حرب (ت٢٧٤هـ)[٧].

---

(١) الملل والنحل (١/٥٦، ٥٧).
(٢) الملل والنحل (١/٥٧).
(٣) الملل والنحل (١/٥٧، ٥٨).
(٤) الملل والنحل (١/٥٨).
(٥) الملل والنحل (١/٥٨).
(٦) الملل والنحل (١/٥٨).
(٧) الملل والنحل (١/٥٩).

* ومحمد بن شبيب، وأبوشمر، وموسى بن عمران، وخالفوه في أشياء[١].
* والفضل الحدثي (ت٢٥٧هـ)، وأحمد بن خابط (ت٢٣٢هـ)، وطالعا كتب الفلاسفة وقالا ببعض مقولات النصارى في المسيح[٢].

وزعم أن الرؤية يوم القيامة تكون رؤية العقل الفعّال (وهي مقولة فلسفية)[٣].

**٥ ـ بشر المعتمر (ت٢٢٦هـ):**

يعد من أفاضل علماء المعتزلة، وأحدث القول بالتولد[٤] وهي مقولة فلسفية.

**٦ ـ معمر بن عباد السلمي (ت٢٢٠هـ):**

بالغ في نفي الصفات ونفي القدر والتكفير على ذلك[٥].

**٧ ـ أبوموسى المردار (عيسى بن صبيح) (ت٢٢٦هـ):**

الملقب بـ (راهب المعتزلة) وبالغ في القول بخلق القرآن[٦].

---

(١) الملل والنحل (١/ ٥٩).
(٢) الملل والنحل (١/ ٦٠).
(٣) الملل والنحل (١/ ٦٣).
(٤) الملل والنحل (١/ ٦٤).
(٥) الملل والنحل (١/ ٦٥ ـ ٦٨).
(٦) الملل والنحل (١/ ٦٩).

**٨ ـ ثمامة بن أشرس النميري (ت٢١٣هـ):**

قال الشهرستاني: «كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النَّفس»[١]. ومن غرائب أقواله زعمه أن الكفار يوم القيامة يكونون تراباً، وكذلك البهائم وأطفال المؤمنين[٢].

**٩ ـ هشام بن عمرو الفوطي (ت٢٢٦هـ):**

وقد بالغ في نفي القدر[٣].

**١٠ ـ الجاحظ (ت٢٥٠هـ):**

وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وروَّج كثيراً من مقالاتهم كـ: «إثبات الطبائع للأجسام»[٤].

هذا وقد فترت المعتزلة ما بين سنة (٢٣٠) تقريباً إلى قريب سنة (٢٧٠هـ) بعد انكسارها وهزيمتها أمام الإمام أحمد وبعد أن قمعها المتوكل الخليفة العباسي.

**١١ ـ أبوالحسين الخياط (ت٣٠٠هـ):**

وقد اشتهر عنه أنه زعم أن المعدوم شيء، وتلميذه أبوالقاسم ابن محمد الكعبي، وقد اشتهر عنه إنكاره إرادة الله تعالى[٥].

---

(١) الملل والنحل (١/ ٧٠).
(٢) الملل والنحل (١/ ٧١).
(٣) الملل والنحل (١/ ٧٢).
(٤) الملل والنحل (١/ ٧٥).
(٥) الملل والنحل (١/ ٧٦ ـ ٧٧).

**١٢ ـ أبوعلي الجبائي (ت٢٩٥هـ):**

وابنه أبو هشام (ت٣٢١هـ)، ويسمى أتباعه (البهشمية)[١]، وقد طوّرا مقولات المعتزلة كثيراً، وتكلما في كلام الله بكلام يشبه قول المتكلمين من الكلابيين والأشاعرة.

**المأمون الخليفة العباسي (ت٢١٨هـ):**

للخليفة العباس (المأمون) أثر كبير في نصر مذاهب الجهمية والمعتزلة، والتعاطف مع الفرق الأخرى كالرافضة، وسبب ذلك أنه تربىٰ على يد رجل جهمي معتزلي جلد وهو ابن أبي دؤاد.

نصر مذهب المعتزلة، وقد ولي المأمون الخلافة سنة (١٩٨هـ)، وكان له ميل للكلام وأهله وللفلسفة، ولذلك قرّب المتكلمين وعلى رأسهم المعتزلة، وشجّع الفرق وأطلق نشاطها، وترجم كتب الفلاسفة وشجع على قراءتها.

**قال الذهبي:** «وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم وبالغ، وعمل الرصد فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة»[٢] وتهور في الانتصار لبدعة القول بخلق القرآن، وامتحن العلماء والأئمة في ذلك، ومع أنه كان عاقلاً ذكياً

---

(١) الملل والنحل (١/ ٧٨ ـ ٨٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٣).

حصيفاً، يحب العدل والعفو، إلا أن ميله إلى مذهب الجهمية وإلى التشيع أوقعه في هذه الورطة، وهكذا كل من خالف السنة ومال إلى البدعة ولو في بعض الأمور فإنه لا يسلم من غوائلها.

**قال الذهبي في تشيع المأمون**: «قلت: وكان شيعياً» وذكر براءته من معاوية رضي الله عنه[١].

**قلت**: وهذه من حصائد مخالفة المأمون لمنهج السلف في مخالطته لأهل البدع وتلقيه عنهم، مما جعله يتأثر بأخطر البدع آنذاك: بدع الجهمية، وبدع الفلاسفة، وبدع الرافضة. نسأل الله السلامة.

وقد هيأ المأمون كتب الفلسفة وترجمها ويسَّرها لأهل الأهواء بسبب نزعته الاعتزالية الجهمية، وبقيت الأصول الفلسفية في الفرق الكلامية، الجهمية والمعتزلة، ثم وريثاتها: الكلابية والأشاعرة والماتريدية إلى يومنا هذا.

**قال الذهبي**: «إن المأمون استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرص»[٢].

**وقال**: «وكان من أكابر أعوان المأمون في فرض عقيدة

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٨).

المعتزلة في خلق القرآن بقوة السلطان: إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي (ت٢٣٥هـ) كان قويًّا في الباطل وهو أمير بغداد، وعلى يده امتحن العلماء بأمر المأمون»[١].

وعظمت المحنة على الأمة حتى فرّجها الله بموقف الإمام أحمد وصموده:

**قال شيخ الإسلام:** «وقد ذكر ابن جرير في تاريخه نسخة الكتاب الذي أُرسل في المحنة المشهورة، لما كان المأمون قد ذهب إلى ناحية طرسوس، وأرسل كتاباً إلى الناس ببغداد، وأمر نائبه إسحاق بن إبراهيم أن يقرأه على الناس، ويدعوهم إلى موافقته، فامتنع العلماء عن الإجابة، حتى أرسل كتاباً يهدد به الناس، وأمر بقتل القاضيين إذا لم يجيبا: قاضي الشرقية والغربية، وهما: بشر بن الوليد، وعبدالرحمن بن إسحاق، فأجاب الناس كرهاً، واعترفوا بذلك، وامتنع عن الإجابة سبعة، فقيّدوهم، فأجاب منهم خمسة، وبقي أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح النيسابوري، فأرسلوهما مقيَّدَيْن، فمات محمد بن نوح في الطريق، فبقي أحمد بن حنبل، ومات المأمون قبل أن يصير إليه أحمد»[٢]، واستمرت المحنة أيام خلافة المعتصم والواثق حتى فرجها الله بخلافة المتوكل الذي

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧١).
(٢) درء التعارض (٥/ ١٨٢).

نصر السنة وأهلها وقمع البدع وأهلها.

**قال الذهبي في ترجمة أبي مسهر:**

«وكان أبومسهر ممن امتحنه المأمون وأكرهه على أن يقول: القرآن مخلوق فأصرّ وصمّم، فوضعه في النطع ليضرب عنقه فأجاب وقال: القرآن مخلوق، فأقيم من النطع فرجع في الحال فسجنه المأمون نحواً من مائة يوم وجاءه الأجل فمات في سنة ثماني عشرة ومائتين ـ رحمه الله»[1].

**قلت:** ما جواب العقلانيين والعصرانيين وبعض المتحذلقين من ورثة المعتزلة والجهمية الذين يزعمون أنها حاملة لواء الحرية الفكرية، وهم يعلمون أن أسلافهم شيوخ المعتزلة والجهمية هم الذين كانوا يحرضون المأمون على المحنة والفتنة وفرض الرأي بقوة السيف والسلطان؟! فهل من معتبر!

* * *

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٨١).

## أصول المعتزلة ومناهجهم وسماتهم

**أولاً: المشارب والروافد العقدية للمعتزلة:**

تتكون أصول المعتزلة من خليط من عدة روافد ومشارب منها:

أ ـ **القدرية**: فالمعتزلة في أصولها القدرية امتداد للقدرية التي ابتدعها معبد الجهني وغيلان الدمشقي ومن اقتدى بهما.

ب ـ **الجهمية**: فالمعتزلة في غالب أصولها الكلامية: في الصفات وكلام الله تعالى والقرآن والرؤية وسائر السمعيات وغيرها على نهج الجهمية، وإن خالفتها في الألفاظ وبعض التفصيلات، لذلك نجد كثيراً من السلف يطلقون على المعتزلة الجهمية ولا يفرقون بينهما.

ج ـ **الخوارج**: المعتزلة على منهج الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة وفي الشفاعة، وفي الخروج على الولاة، أو ما يسمونه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

د ـ **ما أنشأته المعتزلة نفسها** مما يسمى بالأصول الخمسة التي سبق ذكرها.

هـ ـ **عقائد الأمم الأخرى ومقالاتها**، كالفلاسفة اليونان والصابئة وغيرهم والمجوس الثنوية والسمنية والنصارى

واليهود، وذلك حسب اتجاهات فرقها وزعمائها.

**ثانياً: مصادر التلقي والاستدلال عند المعتزلة:**

المعتزلة كغيرها من سائر أصحاب الأهواء لا تكتفي بمصادر الحق التي هي مصادر التلقي عند السلف وهي القرآن والسنة والإجماع، وتتلخص مصادرالتلقي والاستدلال عند المعتزلة فيما يلي:

أ ـ **أوهام العقول وظنونها حيث وضعوا لأنفسهم ما يسمونه العقليات، أو القواعد العقلية**، وجعلوها هي الأصل في تقرير العقيدة وأصول الدين، وقدَّموها على نصوص الكتاب والسنة، وجعلوا التخرصات العقلية هي المحكمّة، ونصوص الشرع هي المحكوم عليها المتهمة، فصار العقل عندهم هو الخصم للشرع وهو الحكم على كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

ب ـ **الفلسفات وعقائد الأمم الأخرى**، كالفلسفة اليونانية، وأخذوا عن فلاسفة الصابئة والسمنية والغنوصية، والمجوس، والجهمية.

جـ ـ **الأهواء والنزعات الشخصية عند فرقهم وأفرادهم**.

أما عن استمدادهم من الفلاسفة، فقال الأشعري في المقالات بعد أن ذكر قول بعض المعتزلة أن صفات الله هي هو: «وأخذ هذا أبوالهذيل عن أرسطا طاليس. وذلك أن أرسطا

طاليس قال في بعض كتبه: إن الباريَ علمٌ كله، قدرةٌ كله، حياةٌ كله، سمعٌ كله، بصرٌ كله، فحسن اللفظ عند نفسه، وقال: علمه هو هو، وقدرته هي هو.

**وكان يقول**: إن لمقدورات الله ومعلوماته مما يكون ومما لا يكون كلاً وغاية وجميعاً، كما أن لما كان كلاً وجميعاً، وإن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيسكنون سكوناً دائماً لا يتحركون، وكان يقول بانقطاع الأكل والشرب والنكاح»[1]، يعني نعيم أهل الجنة.

**قلت**: ما أعظم جرأة هؤلاء على ما لا علم لهم به، وعلى القول على الله بغير علم.

وليس أبوالهذيل فقط هو الذي تأثر بالفلاسفة في هذه المقالات الوهمية والتخرصات على الغيب، بل سائر المعتزلة على هذا النهج الفاسد.

**وقال الشهرستاني**: «ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتبَ الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم، وسمَّتها باسم الكلام، إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها مسألة الكلام ـ يعني كلام الله ـ فسمي النوع باسمها، وإما لمقابلتهم

---

(١) مقالات الإسلاميين (٢/١٧٨).

الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان»[١].

**ومن مصادر المعتزلة: التلقي عن السمنية[٢]:**

فقد كان السمنية (مذهب من المذاهب الهندية الملاحدة الدهرية)، ممن جاورهم بعض المعتزلة حتى إن أحد المتكلمين تحول سمنياً وهو جرير بن حازم الأزدي، أو مال إلى قول السمنية[٣].

**أما تلقيهم عن المجوس،** فالمعتزلة في القدر أشبهوا المجوس، وهم مجوس هذه الأمة لأنهم قدرية نفاة، والقدرية كما قال السلف: (مجوس هذه الأمة)، والمعتزلة صاروا إلى مذهب القدرية كما قال شيخ الإسلام:

«ولهذا كان المعتزلة ونحوهم من القدرية مجوس هذه الأمة»[٤].

ذلك أن المجوس الثنوية المشركين يزعمون أن للخلق إلهين اثنين، أحدهما: خالق الخير والنور، والثاني: خالق الشر والظلمة.

---

(١) الملل والنحل (١/ ٣٠).
(٢) السمنية: طوائف من الفلاسفة الملاحدة الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات وأكثرهم ينكرون البعث والمعاد ويقولون بتناسخ الأرواح.
(٣) انظر: الأغاني للأصفهاني (٣/ ٢٤).
(٤) الفتاوى (١٦/ ٢١٥).

وكذلك قالت القدرية المعتزلة بأن الله لم يقدِّر إلا الخير فقط، وأن الإنسان هو الفاعل للشر استقلالاً ولم يقدره الله، وهو قول طوائف منهم، وآخرون قالوا بأن أفعال الإنسان كلها مقدورة له، وليس الله خالقها، فجعلوا الإنسان خالقاً مع الله، وهذا موافق لقول المجوس الثنوية، بل هو مأخوذ عنه. لذلك يسميهم البعض (الثنوية) كما ذكر المقريزي[١].

**المعتزلة أخذت القول بخلق القرآن عن الجهمية:**

**قال شيخ الإسلام:** «ولكن الجهمية والمعتزلة لما كان أصلهم أن الربَّ لا تقوم به الصفات والأفعال والكلام، لزمهم أن يقولوا: كلامه بائن عنه مخلوق من مخلوقاته، وكان أول من ظهر عنه هذا الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان، ثم صار هذا في المعتزلة»[٢].

**وقال:** «ثم إن المعتزلة الذين اتبعوا عمرو بن عبيد على قوله في القدر والوعيد، دخلوا في مذهب جهم، فأثبتوا أسماء الله تعالى ولم يثبتوا صفاته، وقالوا: نقول إن الله متكلم حقيقة. وقد يذكرون إجماع المسلمين على أن الله متكلم حقيقة، لئلا يضاف إليهم أنهم يقولون إنه غير متكلم، لكن معنى كونه سبحانه متكلماً عندهم: أنه خلق الكلام في غيره؛

---

(١) انظر: خطط المقريزي (٤/١٦٩).

(٢) منهاج السنة (٢/٢٥١).

فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، لكن هؤلاء يقولون: هو متكلم حقيقة وأولئك ينفون أن يكون متكلماً حقيقة، وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم»[١].

**ثالثاً: عقائد المعتزلة وأصولها ومقالاتها:**

سبقت الإشارة إلى الأصول الخمسة التي تمثل أصول المعتزلة عموماً، ويتفرع عن هذه الأصول مقالات كثيرة أجملها فيما يلي:

**١ ـ المعتزلة تثبت لله تعالى الأسماء، وتنفي الصفات والأفعال لله تعالى.**

والمعتزلة حين تزعم إثبات الأسماء لله تعالى فإنها إنما تثبتها على نحو فلسفي هو إلى التعطيل والتأويل أقرب كقولهم: عليم بلا علم، سميع بلا سمع، وكقولهم: أسماؤه هي هو.

**٢ ـ تنفي المعتزلة كلام الله تعالى حقيقة، وعلوه، واستواءه على عرشه.**

**٣ ـ تنفي المعتزلة ما أجمع عليه السلف من أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.**

**٤ ـ تنفي المعتزلة ما تواترت به النصوص وأجمع عليه السلف من أن أهل الكبائر غير مخلدين في النار.**

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٣١١، ٣١٢).

٥ ـ **تنكر المعتزلة الشفاعة يوم القيامة التي تواترت بها** النصوص وأجمع عليها السلف. وهي الشفاعة لأهل الكبائر وغيرها من الشفاعات.

٦ ـ **تنكر المعتزلة الرؤية التي تواترت بها النصوص وأجمع عليها السلف**، أي رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم. فضلاً عن رؤية الخلائق لربهم تعالى في المحشر كما وردت به النصوص.

٧ ـ **تكذِّب المعتزلة بالأحاديث المتواترة والثابتة عن النبي ﷺ في كل ما يخالف أصولها** كأحاديث القدر (مثل حديث الصادق المصدوق) وأحاديث الرؤية، وأحاديث الشفاعة، وأحاديث الصفات، أما الآيات القرآنية في ذلك فيتأولونها ويحرفونها، لتتفق مع أصولهم الفاسدة.

٨ ـ **المعتزلة تغلو في العقل وتجعل أوهام العقول وخيالاتها في** أمور الغيب وأصول الدين ومسائله مقدمة **على النصوص** (القرآن وما صح من السنة)، ومحكمة فيها، وعليه:

٩ ـ **تؤول بعض المعتزلة أكثر السمعيات الأخرى** كالصراط والميزان والحوض، وتنكر بعضها كالشفاعة.

١٠ ـ **تنكر المعتزلة القدر الشامل خيره وشره من الله تعالى،** وتزعم أن الله لم يقدر أفعال العباد، أو بعضها.

١١ ـ **تقول المعتزلة بأن مرتكب الكبيرة في الدنيا لا مؤمن** (لا مسلم) ولا كافر، **فهو بالمنزلة بين المنزلتين** (أي بين

الكفر والإيمان) أما في الآخرة فيزعمون أنه إذا مات على الكبيرة فهو خالد في النار، وينكرون الشفاعة لأهل الكبائر.

١٢ ـ **المعتزلة تسب بعض الصحابة على اختلاف بينهم، من مقل أو مكثر، أما السلف بعد الصحابة فليس لهم عندهم وزن ولا اعتبار**، ولا يتورعون عن لمز أئمة أهل السنة، بما فيهم بعض الصحابة (كابن عمر) ومن ذلك تعييرهم بالحشوية.

١٣ ـ **غالب المعتزلة تسب المخالفين وتكفرهم**، بل اشتهر عن المعتزلة أنهم يكفر بعضهم بعضاً. كما هي سمة أهل الأهواء والافتراق.

١٤ ـ **حملت المعتزلة الناس على مذهبها بقوة السلطان والسيف**، وفتنوا الناس بذلك، واستباحوا دماء العلماء والأئمة.

١٥ ـ **دخل مذهب المعتزلة في أصول الفرق الأخرى وعقائدها**، كالرافضة، والخوارج (الإباضية) والفلاسفة وطوائف من الصوفية، وأهل الكلام من الكلابية والأشاعرة والماتريدية، أما الزيدية فكانت معتزلة منذ نشأتها.

١٦ ـ **صار كثير من رؤوس المعتزلة بعد القرن الثالث شيعة رافضة**، وهذا هو الأليق بهم.

وقد ذكر كثير من مصنفي المقالات أقوال المعتزلة وعقائدهم وأصولهم، وسأذكر أنموذجين من ذلك:

**مجمل مقالات المعتزلة وأصولهم كما ذكرها الإسفراييني في التبصير[١]:**

١ ـ نفي صفات الباري جل جلاله.

٢ ـ قولهم: إن المعدوم شيء، وهذا تبع لقول الفلاسفة بقدم العالم.

٣ ـ زعمهم أن الله تعالى لا يرى في الآخرة.

٤ ـ زعمهم أن كلام الله تعالى مخلوق.

٥ ـ زعمهم أن أفعال العباد مخلوقة لهم.

٦ ـ زعمهم أن أفعال الحيوانات خارجة عن قدرة الله.

٧ ـ قولهم: إن الفاسق الملِّي في المنزلة بين المنزلتين (لا مؤمن ولا كافر).

٨ ـ وأنه إذا لم يتب خالد في النار.

٩ ـ تكفيرهم من لم يعتقد على شروطهم؛ لذلك كفروا مخالفيهم وعوام المسلمين.

١٠ ـ إنكارهم المعجزات للنبي ﷺ وسائر الأنبياء.

١١ ـ كثير منهم ينكر السمعيات كالحوض والصراط والميزان وعذاب القبر، والشفاعة.

---

(١) انظر: التبصير في الدين ص(٦٣ ـ ٦٧) بتصرف.

**أصول المعتزلة كما ذكرها البغدادي[١]:**

ذكر البغدادي أن المعتزلة افترقت إلى عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرها، ثم ذكرها، وذكر أنها يجمعها كلها في بدعتها أمور، منها:

١ ـ **نفيها كلها عن الله ـ عز وجل ـ صفاته الأزلية، وقولها بأنه ليس لله ـ عز وجل ـ علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية**، وزادوا على هذا بقولهم: إن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة.

٢ ـ ومنها: **قولهم باستحالة رؤية الله ـ عز وجل ـ بالأبصار**، وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره. واختلفوا فيه هل هو راء لغيره أم لا؟ فأجازه قوم منهم وأباه قوم آخرون منهم.

٣ ـ ومنها: **اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله ـ عز وجل ـ وحدوث أمره ونهيه وخبره**، وكلهم يزعمون أن كلام الله ـ عز وجل ـ حادث، وأكثرهم اليوم يسمون كلامه مخلوقاً.

٤ ـ ومنها: **قولهم جميعاً بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات**، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على إكسابهم، وأنه ليس لله ـ عز وجل ـ في إكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع

---

(١) الفَرق بين الفِرق (١١٤ ـ ١١٥). وقد ميزتها بالأرقام للإيضاح.

وتقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية.

٥ ـ ومنها: **اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين**، وهي أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر، ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلة، لاعتزالهم قول الأمة بأسرها.

٦ ـ ومنها: **قولهم: إن كل ما لم يأمر الله تعالى به أو نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئاً منها**». اهـ.

* * *

# وقفات عند أبرز مظاهر الخلل المنهجي لدى المعتزلة

**أ ـ الخلل في مفهوم التوحيد عند المعتزلة:**

من أصول المعتزلة (التوحيد) ويقصدون به: نفي صفات الله تعالى وأفعاله، أي: التعطيل، وهو عكس التوحيد، وهذا من التلبيس وقلب المفاهيم عند أهل الأهواء.

والعجيب أن جميع مسميات أصول المعتزلة فيها تلبيس، وتجد حقيقتها على عكس مرادهم؛ ليبعدوا عن أنفسهم التهمة والشناعة، وليوهموا الناس أنهم على الحق، وهذه من خصال أهل الأهواء والافتراق والبدع.

**قال شيخ الإسلام:** «ومن العجب أن المعتزلة يفتخرون بأنهم أهل التوحيد والعدل، وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفياً يستلزم التعطيل والإشراك، وأما العدل الذي وصف الله به نفسه، فهو ألا يظلم مثقال ذرة، وأنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وهم يجعلون جميع حسنات العبد وإيمانه حابطاً بذنب واحد من الكبائر، وهذا من الظلم الذي نزَّه الله نفسه عنه»[١].

---

(١) الفتاوى (٧/ ٤٩٣).

**ب ـ الخلل في منهج تقرير التوحيد عندهم:**

قول المعتزلة بمسألة حدوث الأعراض والأجسام وتركيبها أدى إلى التعطيل، فإن من منهج المعتزلة وأغلب أهل الكلام: الاستدلال بحدوث الأعراض والأجسام وتركيبها على نفي صفات الله وأفعاله، وهو نوع من التمثيل والتشبيه الذي ألزمهم نفي الصفات والأفعال. وذلك أنهم استعملوا القياس في حق الله تعالى، إذ قاسوا صفاته وأفعاله سبحانه بأحوال المخلوقات حين وضعوا مقدمات خاطئة، ورتبوا عليها نتائج خاطئة كذلك. فقالوا ـ مثلاً ـ: الأعراض والأجسام مخلوقة حادثة، وصفات الله تعالى الواردة في القرآن والسنة توهم العرضية والجسمية، فإذا أثبتناها وصفنا الله بصفات الحوادث، فيلزم تأويلها تنزيهاً لله بزعمهم.

قال شيخ الإسلام: «وأصل ما أوقعهم في نفي الصفات والكلام والأفعال، والقول بخلق القرآن، وإنكار الرؤية والعلو لله على خلقه: هي طريقة حدوث الأعراض وتركيب الأجسام، وعنها لزمهم ما خالفوا به الكتاب والسنة والإجماع في هذا المقام، مع مخالفتهم للمعقولات الصريحة التي لا تحتمل النقيض، فناقضوا العقل والسمع من هذا الوجه، وصاروا يعادون من قال بموجب العقل الصريح، أو بموجب النقل الصحيح، وهم وإن كان لهم من نصر بعض الإسلام أقوال صحيحة، فهم فيما خالفوا به السنة سلّطوا عليهم وعلى

المسلمين أعداء الإسلام، فلا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا»[١]، وعلى هذا فإن:

**جـ- المعتزلة مشبهة في الأفعال كما أنها معطلة في الصفات:**

المعتزلة كسائر أهل الأهواء يقعون في نظير ما فرُّوا منه، فهم حين هربوا من التشبيه في نفيهم لصفات الله وقعوا في التشبيه من وجوه أخرى، إذ هم يصفون الله تعالى بما يخلقه من المخلوقات مثل قولهم: هو متكلم بكلام يخلقه في غيره، وكذا الإرادة، وقالوا في المحبة والرضا والبغض والغضب ما يخلقه الله من الثواب والعقاب، فجعلوا أفعال الله مخلوقة محدثة كسائر المخلوقات فشبهوا الله بخلقه[٢] من هذا الوجه، وهو شر مما هربوا منه.

هذا مع أن وقوعهم في التعطيل ونفي صفات الله أصلاً كان سببه ما توهموه في أذهانهم من التشبيه، فلما لم يسلموا لله تعالى كمال التسليم هربوا من باطل ووقعوا في أشنع منه، حيث صاروا مشبهة ومعطلة في آن واحد، ولو أنهم وقفوا عند قاعدة السلف، الإثبات مع نفي المماثلة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لهُدوا إلى سواء السبيل.

---

(١) درء التعارض (٧/ ١٠٦، ١٠٧).

(٢) انظر: الفتاوى (٨/ ١٢٥).

**ء ـ من تلبيس المعتزلة تسميتهم النفي والتعطيل (تنزيهاً):**

المعتزلة كالجهمية وسائر أهل الكلام والأهواء يعبرون عن ضلالتهم وباطلهم بعبارات موهمة، أو مقلوبة، فكما سموا إنكار القدر عدلاً، والتعطيل توحيداً، والسيف والخروج أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر.

كذلك يسمون نفي صفات الله وأفعاله تنزيهاً، ويسمون الصفات أبعاضًا وأعراضاً وأجساماً، وجوارح وحدوداً وغايات وجهات، ويسمون أفعال الله تعالى حوادث، فيقولون: إن الله تعالى منزه عن الأعراض والأجسام والحوادث والحدود والأعضاء والجوارح والجهات والغايات، ويقصدون بذلك كله نفي صفات الله وأفعاله.

يقول شيخ الإسلام: «وكانت المعتزلة تقول: إن الله منزَّه عن الأعراض والأبعاض والحوادث والحدود، ومقصودهم نفي الصفات، ونفي الأفعال، ونفي مباينته للخلق وعلوه على العرش، وكانوا يعبرون عن مذاهب أهل الإثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد المذهب، فإنهم إذا قالوا: «إن الله منزَّه عن الأعراض» لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما ينكر؛ لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزه عن الاستحالة والفساد كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام، ولا ريب أن الله منزه عن ذلك، ولكن

مقصودهم أنه ليس له علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا كلام قائم به، ولا غير ذلك من الصفات التي يسمونها هم أعراضاً.

**وكذلك إذا قالوا:** «إن الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات» أوهموا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات، ولا تحوزه المصنوعات (وهذا المعنى صحيح) ومقصودهم: أنه ليس مبايناً للخلق ولا منفصلاً عنه، وأنه ليس فوق السموات رب، ولا على العرش إله، وأن محمداً لم يُعْرَج به إليه، ولم ينزل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب إليه شيء، ولا يتقرب إلى شيء، ولا ترفع إليه الأيدي في الدعاء ولا غيره، ونحو ذلك من معاني الجهمية.

**وإذا قالوا:** «إنه ليس بجسم» أوهموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات، ولا مثل أبدان الخلق (وهذا المعنى صحيح)، ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يُرى، ولا يتكلم بنفسه، ولا يقوم به صفة، ولا هو مباين للخلق، وأمثال ذلك»[1].

وهذا الاتجاه هو ما استقر عليه مذهب الأشاعرة منذ عهد ابن فورك والجويني والرازي، بل إن الرازي وضع من القواعد والأسس لهذا الاتجاه ما لم تتوصل إليه المعتزلة[2].

---

(١) درء التعارض (٢/ ١٠، ١١).

(٢) راجع أساس التقديس للرازي.

**هـ ـ مبدأ التعطيل عند المعتزلة من تأويل الاستواء والكلام:**

تأويل الاستواء بالاستيلاء من أصول المعتزلة والجهمية وتبعتهم الماتريدية ومتأخرة الأشاعرة، وكذلك القول بأن الله لم يتكلم حقيقة، إنما كلامه معاني في النفس، أو بحروف وأصوات مخلوقة، هو حقيقة قول الجهمية والمعتزلة، ثم أخذت به الكلابية، فالأشاعرة والماتريدية.

**قال الأشعري**: «وقال المعتزلة في قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: بمعنى استولى»[١].

وعلى هذا تكون الفرقة الكلامية تبعاً للمعتزلة والجهمية في تأويل الاستواء كالأشاعرة والماتريدية. فإنهم يؤولون الاستواء بالاستيلاء ونحوه، ولم يكن الأشعري نفسه وتلامذته الأوائل يؤولون الاستواء ولا غيره من الصفات حتى جاء ابن فورك فتابع ابن الثلجي والمريسي في تأويلاتهم.

أما الكلام فقد صرح الكلابية والأشاعرة والماتريدية ـ تبعاً للجهمية والمعتزلة ـ بأن كلام الله تعالى هو: المعنىٰ القائم بالنفس، أو هو الكلام النفسي[٢].

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٧).

(٢) انظر: لمع الأدلة للجويني (١٠٢ ـ ١٠٤)، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٦٢)، والمواقف للأيجي (٢٩٤).

**و ـ تزعم المعتزلة أن الله لم يخلق أفعال العباد:**

من مقالات المعتزلة الشنيعة قولهم: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، وإن الإنسان هو مقدر أفعاله، وبعضهم التزم أن الإنسان هو خالق أفعاله، وهذا هو قول الثنوية المجوسية الذين يزعمون أن خالقاً مع الله يخلق الشر ـ تعالى الله.

**قال الأشعري:** «أجمعت المعتزلة على أن الله ـ سبحانه ـ لم يخلق الكفر والمعاصي، ولا شيئاً من أفعال غيره، إلا رجلاً منهم، فإنه زعم أن الله خلقها، بأن خلق أسماءها وأحكامها، حكي ذلك عن «صالح قُبَّة».

**واختلفت المعتزلة: هل يقال: إن الإنسان يخلق فعله أم لا، على ثلاث مقالات:**

١ ـ **فزعم بعضهم**: أن معنى فاعل وخالق واحد، وأنا لا نطلق ذلك في الإنسان لأنا مُنعنا منه.

٢ ـ **وقال بعضهم**: هو الفعل لا بآلة ولا بجارحة، وهذا يستحيل منه.

٣ ـ **وقال بعضهم**: معنى «خالق» أنه وقع منه الفعل مُقدَّراً، فكل من وقع فعله مقدراً فهو خالق له، قديماً كان أو محدثاً»[١].

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/٢٩٨)، وانظر: الفصل لابن حزم (٣/٨١، ٨٢).

**وقال البخاري في ذلك**: «إلا المعتزلة فإنهم ادعوا أن فعل الله مخلوق، وأن أفعال العباد غير مخلوقة، وهذا خلاف علم المسلمين، إلا من تعلق من البصريين بكلام سيبويه، كان مجوسياً فادَّعى الإسلام فقال الحسن: أهلكتهم العجمة»[١].

**ز ـ فساد مذهب المعتزلة في الإرادة:**

لما خاضت المعتزلة في صفات الله تعالى وأفعاله بعقولها القاصرة (وكل العقول قاصرة)، وقعت في لوازم ومقالات شنيعة ومصادمة للنصوص ومنافية للفطرة والعقل السليم، فوصفوا الله تعالى بالعجز.

**يقول الأشعري**: «وكل المعتزلة إلا «الفضلية» أصحاب «فضل الرقاشي» يقولون: إن الله سبحانه يريد أمراً ولا يكون، وأنه يكون ما لا يريد.

وقال «معمّر»: إرادة الله سبحانه غير مراده، وهي غير الخلق وغير الأمر والإخبار عنه والحكم به»[٢].

**وقال**: «وزعمت المعتزلةُ كلُّها غير «أبي موسى المردار» أنه لا يجوز أن يكون الله سبحانه مريداً للمعاصي على وجه من الوجوه أن يكون موجوداً، ولا يجوز أن يأمر بما لا يريد أن يكون، وأن ينهى عما يريد كونه، وأن الله سبحانه قد أراد ما لم

---

(١) خلق أفعال العباد ص(٧٥).

(٢) مقالات الإسلاميين (٢/١٩٨).

يكن، وكان ما لم يرد، وأنه قادر على المنع مما لا يريد، وأن يُلْجِئَ إلى ما أراد»[١].

**وقال**: «وأنكرت المعتزلة بأسْرِهَا أن يكون الله سبحانه لم يزل مريداً للمعاصي، وأنكروا جميعاً أن يكون الله لم يزل مريداً لطاعته.

وأنكرت المعتزلة بأسرها أن يكون الله لم يزل متكلماً راضياً ساخطاً محبًّا مبغضاً منعماً رحيماً موالياً معادياً جواداً حليماً عادلاً محسناً صادقاً خالقاً رازقاً بارئاً مصوِّراً مُحْيياً مميتاً آمراً ناهياً مادحاً ذامًّا»[٢].

**قلت**: ما أجرأ هؤلاء من المعتزلة والجهمية وأخلافهم من أهل الكلام، ما أجرأهم على الله تعالى، وما أقل أدبهم مع الله تعالى.

**حـ - مقصود المعتزلة والجهمية وأتباعهم من أهل الكلام بنفي الجسمية: التعطيل.**

نفي الجسمية عن الله تعالى عند هؤلاء يقصدون به نفي الصفات والرؤية والكلام.

**قال شيخ الإسلام**: «فالأولى طريقة الجهمية من المعتزلة وغيرهم، ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون أن قصدهم

---

(١) مقالات الإسلاميين (٢/١٩٧).
(٢) مقالات الإسلاميين (١/٢٦٣).

التنزيه، ومقصودهم بذلك أن الله لا يُرى في الآخرة، وأنه لم يتكلم بالقرآن، ولا غيره، بل خلق كلاماً في غيره، وأنه ليس له علم يقوم به، ولا قدرة ولا حياة، ولا غير ذلك من الصفات»[١].

والسلف لا يقرون لفظ الجسمية في حق الله تعالى، لكنهم لا ينفون ما قد تحتمله من معنىً صحيح، كإثبات الذات والأسماء والصفات والأفعال، لكن الجسم بلفظه ليس من صفات الله؛ لأنه لفظ مبتدع لم يرد في القرآن والسنة نفيه ولا إثباته، أما أهل الأهواء فهم في ذلك على طرفي نقيض. فالممثلة يبالغون في إثباته، والمعطلة يبالغون في نفيه، ويقصدون به نفي الصفات والأفعال، زعماً منهم أنها تقتضي الجسمية، وذلك رجم بالغيب وقول على الله بغير علم من الفريقين، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

**ط ـ إنكار المعتزلة للرؤية:**

رؤية الخلائق لربهم يوم القيامة بأبصارهم ثابتة بصحيح النصوص واتفاق السلف، ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم متواترة بصريح الآيات والأحاديث القطعية السند

---

(١) الفتاوى (١٧/ ٣٠٠).

والدلالة، وإجماع السلف.

أما المعتزلة (تبعاً للجهمية) فقد أنكرت الرؤية بنوعيها: العينية والقلبية. أما الرؤية بالعين فأنكروها بالكلية، وأما الرؤية القلبية فقد تأولوها بالعلم، ومعلوم أن الرؤية أمر زائد عن العلم.

**قال الأشعري**: وأجمعت المعتزلة على أن الله لا يُرى بالأبصار، واختلفت هل يرى بالقلوب؟

١ ـ فقال «أبوالهذيل» وأكثر المعتزلة: إن الله يُرى بقلوبنا، بمعنى أنا نعلمه بها، وأنكر ذلك «الفُوطى» و«عبّاد».

٢ ـ وقالت المعتزلة والخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الزيدية: إن الله لا يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة، ولا يجوز ذلك عليه»[1].

**ي ـ هوس المعتزلة وخلطهم:**

المعتزلة مصابون بداء الثرثرة والكلام في كل شيء، إلى حد الهوس والهلوسة، مما أوقعهم في الاضطراب والخلط والتناقض وقول الشناعات والكفريات.

**يقول الملطي**: «واعلم أن للمعتزلة من الكلام ما لا استجيز ذكره؛ لأنهم قد خرجوا عن أصول الإسلام إلى فروع الكفر».

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨٩).

**وقال:** «وكيف تدبرت قولهم عرفت جهلهم ووسواسهم وهوسهم؛ لأنهم يختلفون في الأجساد والأرواح من الخلق كلهم، إنسهم وجانهم، ولا يدعون ذكر بهيمة، ولا طائر، ولا شيء خلقه الله ـ عز وجل ـ إلا تكلموا عليه، ووضعوا قياساً، ثم عدلوا عن ذلك كله، فلم يرضوا به، وهم لا يعلمون، فقالت طائفة بظاهر التنزيل، ورد المتشابه إلى المحكم والترك، وهم أهل العراق، وبينهم في ذلك خلاف ومنازعات وأشياء تخرج إلى الكفر والتعطيل والتخليط»(١).

**ك ـ وخلاصة القول في المعتزلة ومناهجها(٢):**

أنها خرجت عن السنة والجماعة، والمنهج الإسلامي الصافي في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال، فهم يقدمون التخرصات العقلية والأوهام والظنون على النصوص الشرعية الثابتة، ويسمونه (تقديم العقل على النقل)، ويأخذون الكثير من قواعدهم ومصطلحاتهم عن الفلاسفة والجهمية ويجعلونها المرجع، ويحاكمون النصوص على ضوئها، ويزعمون أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين بخلاف الأدلة العقلية، فهي عندهم تفيد اليقين، وقد تابعهم على ذلك متكلمة الأشاعرة والماتريدية.

---

(١) التنبيه والرد (٤١).

(٢) انظر: آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام (الجهمية والمعتزلة) للدكتور يوسف السعيد (٢/ ٤٢٥ ـ ٦٧٨).

كما أنهم ابتدعوا القول بالمجاز في صفات الله تعالى والسمعيات.

ثم زعموا أن أول واجب ليس الشهادتين والتوحيد كما هو مقرر في النصوص الشرعية، بل زعموا أنه النظر، أي: الاستدلال على الله تعالى بالأدلة العقلية أولاً، وهذا مجانبة لقول النبي ﷺ لمعاذ: «... **فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله**...» الحديث[1].

وكذلك تسميتهم نفي الصفات توحيداً، وهو من التلاعب بالألفاظ وتلبيس الشيطان عليهم، وتلبيسهم على الناس.

ومنهجهم الخاطئ في إثبات وجود الله تعالى وربوبيته عن طريق إثبات الجواهر والأجسام، وطرق فلسفية عسيرة وملتوية... يغني عنها الدليل العقلي والفطري المتمثل بقوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠].

ونفيهم لصفات الله تعالى، وزعمهم أنها مجازات لا حقيقة لها.

وتنكر المعتزلة الرؤية بنوعيها في الآخرة، رؤية الناس لربهم في المحشر، ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة. رغم صحة النصوص في الأولى وتواترها في الثانية وإجماع السلف.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩) وغيرهما.

وتزعم أن الله غير موصوف بالكلام، وأن القرآن مخلوق، وتخالف بذلك إجماع السلف.

**وفي القدر:** هم قدرية يزعمون أن الله لم يقدِّر أفعال العباد، وليس له إرادة متعلقة بأفعال العباد إلا الإرادة الشرعية.

**وفي مسألة النبوة:** يرون كسائر المتكلمين أن المعجزة هي الطريق الوحيد للدلالة على صدق الأنبياء، ولا يعترفون بما اتفق عليه أهل السنة وسائر العقلاء، ودلت عليه النصوص من دلالات قرائن الأحوال على النبوة.

**والمعتزلة في باب الوعيد:** وعيديين كالخوارج، يزعمون أن فسَّاق الأُمة مخلدون في النار، وينكرون الشفاعة، ويتجاهلون نصوص الوعد وما تواتر في الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة. هذا في الآخرة.

**أما في الدنيا:** فيزعمون أن الفاسق في المنزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، وهي البدعة الأولى التي فارقوا بها السنة والجماعة.

أما قولهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فهم كسائر الفرق، فهم يعنون به الخروج على أئمة المسلمين بالسيف وجواز قتالهم، أو وجوبه، ويجعلون ذلك الأصل الخامس من أصولهم الكبرىٰ.

وكذلك قولهم في الصحابة: فهم مع أنهم يتولون الخلفاء

الراشدين، لكنهم فسَّقوا بعضهم وبعض التابعين، وطعنوا في بعض الصحابة والتابعين لما رووه من الأحاديث التي تخالف مقالاتهم الفاسدة كأحاديث القدر والصفات والشفاعة.

هذا وقد دخلت كثير من هذه المناهج والأصول على كثير من الفرق الإسلامية الأخرىٰ والاتجاهات العصرانية الحديثة لما أشرت إليه في غير موضع من هذه الحلقة. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

## المقارنة بين المعتزلة وبين الرافضة والخوارج والجهمية والفلاسفة

١ ـ أخذت الرافضة والخوارج بكثير من أصول الجهمية والمعتزلة منذ أواخر القرن الثاني إلى اليوم، ومع ذلك فإن المعتزلة في مسألة الصحابة أفضل من الرافضة والخوارج.

**يقول شيخ الإسلام:** «ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج؛ فإن المعتزلة تقرُّ بخلافة الخلفاء الأربعة، وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان، وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليًّا، ومنهم من يفضله على أبي بكر وعمر، ولكن حكي عن بعض متقدميهم أنه قال: فسق يوم الجمل إحدى الطائفتين ولا أعلم عينها، وقالوا: إنه قال: لو شهد علي والزبير لم أقبل شهادتهما لفسق أحدهما لا بعينه، ولو شهد علي مع آخر ففي قبول شهادته قولان، وهذا القول شاذ فيهم، والذي عليه عامتهم تعظيم علي.

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لأجل علي، ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة، فإنهم يقولون:

إن هؤلاء تابوا من قتاله»[١].

**وقال في حديثه عن المعتزلة أيضًا:** «ويعظمون الذنوب، فهم يتحرون الصدق كالخوارج، ولا يختلقون الكذب كالرافضة، ولا يرون أيضًا اتخاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج، ولهم كتب في تفسير القرآن ونصر الرسول، ولهم محاسن كثيرة يترجحون على الخوارج والروافض، وهم قصدهم إثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه، وطاعته، وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس؛ لكنهم غلطوا في بعض ما قالوه في كل واحد من أصولهم الخمس، فجعلوا من التوحيد نفي الصفات وإنكار الرؤية، والقول بأن القرآن مخلوق، فوافقوا في ذلك الجهمية، وجعلوا من العدل أنه لا يشاء ما يكون، ويكون ما لا يشاء، وأنه لم يخلق أفعال العباد، فنفوا قدرته ومشيئته وخلقه لإثبات العدل، وجعلوا من الرحمة نفي أمور خلقها لم يعرفوا ما فيها من الحكمة»[٢].

٢ ـ **المعتزلة جهمية وليس العكس:** ذلك أن المعتزلة قالت بكثير من أصول الجهمية وتبعتها عليها مثل: إنكار

---

(١) الفتاوى (١٣/٩٧، ٩٨).

(٢) الفتاوى (١٣/٩٨).

الصفات، والقول بخلق القرآن، ونفي الرؤية والاعتماد على التأويل والتعطيل، والأخذ بأصول الفلاسفة، وتقديم العقل على النص، لكن الجهمية خالفت المعتزلة في بقية الأصول في القدر وغيره.

**قال شيخ الإسلام**: «فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزلياً، لكن جهم أشد تعطيلاً؛ لأنه ينفي الأسماء والصفات، والمعتزلة تنفي الصفات دون الأسماء، وبشر المريسي كان من المرجئة، لم يكن من المعتزلة، بل كان من كبار الجهمية»[١].

٣ ـ **إذن فالمعتزلة رغم متابعتهم للجهمية في أصولهم إلا أنهم يخالفونهم في بعض المسائل**: كالقدر والإيمان وأسماء الله تعالى وبعض الصفات، فالمعتزلة أقل غلواً في النفي.

**قال شيخ الإسلام**: «ولكن المعتزلة وإن وافقوا جهماً في بعض ذلك فهم يخالفونه في مسائل غير ذلك كمسائل القدر والإيمان وبعض مسائل الصفات أيضاً، ولا يبالغون في النفي مبالغته، وجهم يقول: إن الله لا يتكلم، أو يقول: إنه يتكلم بطريق المجاز، وأما المعتزلة فيقولون: إنه يتكلم حقيقة، لكن قولهم في المعنى هو قول جهم، وجهم ينفي الأسماء أيضًا كما نفتها الباطنية ومن وافقهم

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٦٠٤).

من الفلاسفة، وأما جمهور المعتزلة فلا ينفون الأسماء»[١].

**٤ ـ حال المعتزلة (على ضلالهم) أفضل من حال الفلاسفة:**

**قال ابن القيم:** «فالمعتزلة أكثر اختلافاً من متكلمة أهل الإثبات، وبين البصريين والبغداديين منهم من النزاع ما يطول ذكره، والبصريون أقرب إلى الإثبات والسنة من البغداديين، فالبصريون يثبتون كونه سبحانه سميعاً بصيراً حيًّا عالماً قديراً، ويثبتون له الإرادة ولا يوجبون عليه الأصلح في الدنيا، ويثبتون خبر الواحد والقياس، ولا يؤثمون المجتهدين، ثم بين المشايخية والحسينية من النزاع ما هو معروف.

وأما الشيعة فأعظم تفرقاً واختلافاً من المعتزلة حتى قيل: إنهم يبلغون ثنتين وسبعين فرقة، وذلك لأنهم أبعد طوائف الملة عن السنة.

وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع، فتتلاعب بالنبوات، ولا تقف مع حدودها، وقل بعقلك ما شئت، وقد صرت فيلسوفاً حكيماً. وهم أعظم اختلافاً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى، والفلسفة التي ذهب

---

(١) الفتاوى (١٢/١١٩).

إليها الفارابي وابن سينا هي فلسفة المشائين أتباع أرسطو صاحب المنطق، وبينه وبين سلفه من النزاع ما يطول ذكره، ثم بين أتباعه من الخلاف ما يطول وصفه.

وأما سائر طوائف الفلاسفة، فلو حكي لك اختلافهم في علم الهيئة وحده لرأيت العجب العجاب، هذا والهيئة علم رياضي حسابي هو من أصح علومهم، فكيف باختلافهم في الطبيعيات! فكيف بالإلهيات!»[1].

**٥ ـ ظهور التشيع بين المعتزلة:**

ظهر التشيع بين المعتزلة في وقت مبكر، وهو تشيع الزيدية، أما تشيع الرفض فإنما ظهر فيهم في القرن الثالث.

**قال الملطي:** «وتقول معتزلة بغداد: الجعفران، والإسكافي: إن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ثم إن أبا بكر أفضل من عمر، ثم إن عمر أفضل من عثمان ـ رضي الله عنهم ـ ومعتزلة البصرة؛ أبوالهذيل يقول: أبوبكر وعلي في الفضل سواء، لا فضل بينهما، ثم أبوبكر أفضل من عمر، ثم عمر أفضل من عثمان، وقولهم هذا كله في التفضيل على ما ذكرت

---

(١) الصواعق (٣/ ٨٣٧ ـ ٢٣٩).

لك، فافهم»[١].

وعلى هذا تكون: **الشيعة الزيدية معتزلة**.

**قال الملطي**: «والفرقة الرابعة من الزيدية: هم معتزلة بغداد، يقولون بقول الجعفرية، جعفر بن مبشر الثقفي، وجعفر بن حرب الهمداني، ومحمد بن عبدالله الإسكافي، وهؤلاء أئمة معتزلة بغداد، وهم زيدية يقولون بإمامة المفضول على الفاضل، ويقولون: إن عليًا ـ عليه السلام ـ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، لا يسبقه بالفضل أحد من الأمة، وزعموا أن إمامة الفضول على الفاضل جائز لمَّا ولى النبي ﷺ عمرو بن العاص على فضلاء المهاجرين والأنصار في غزوة ذات السلاسل»[٢].

**مقارنة بين الجهمية والمعتزلة:**

**١ ـ المعتزلة جهمية في أغلب أصولها ومناهجها وسماتها العامة، فهما تتفقان في:**

أ ـ **مصادر التلقي**، فهما تعتمدان على العقليات والفلسفات والرأي في الدين.

ب ـ **منهج الاستدلال**، فكلتا الطائفتين يقدمان العقليات والقواعد الفلسفية على النصوص. وقد تردان

---

(١) التنبيه والرد للملطي (٤١).

(٢) التنبيه والرد للملطي (٣٤).

النصوص الثابتة في سبيل تحقيق قواعدهما.

جـ - نفي الصفات ونفي الرؤية، وأن كلام الله مخلوق.

٢ - الجهمية تنفي أسماء الله وصفاته، والمعتزلة تنفي الصفات وتثبت الأسماء لله تعالى.

٣ - الجهمية جبرية، والمعتزلة بعكسها فهي قدرية اختيارية.

٤ - الجهمية مرجئة غالية، والمعتزلة بعكس ذلك، فهي وعيدية غالية.

٥ - السلف يطلقون على كل من نفى الصفات أو أوّلها أو بعّضها، أو أنكر الرؤية، أو الكلام، أو قال في كلام الله بخلاف السنة، أو أنكر شيئاً من السمعيات، جهمي، ولا يفرقون بين الجهمية والمعتزلة ومتكلمة الأشاعرة والماتريدية في الإطلاق العام، إنما يفرقون بينهم في الأحكام التفصيلية، فإن المعتزلة أخف من الجهمية الخالصة، والأشاعرة والماتريدية أخف من المعتزلة وأقرب إلى السنة في كثير من الأصول.

**فالجهمية والمعتزلة أصولها ونشأتها متقاربة:**

كانت المعتزلة أسبق في الظهور والشهرة من الجهمية؛ لأن المعتزلة تميزت بالقول بالمنزلة بين المنزلتين، أولاً في مطلع القرن الثاني للهجرة، ثم ظهرت مقولات الجهمية المعطلة بعد ذلك حين أعلنها الجعد (قتل سنة ١٥٨هـ) فأخذت بها المعتزلة.

«والشهرستاني يذكر عن شيوخهم أنهم أخذوا ما أخذوا عن الفلاسفة؛ لأن الشهرستاني إنما يرى مناظرة أصحابه الأشعرية في الصفات ونحوها مع المعتزلة بخلاف أئمة السنة والحديث، فإن مناظرتهم إنما كانت مع الجهمية، وهم المشهورون عند السلف والأئمة بنفي الصفات، وأهل النفي للصفات والتعطيل لها هم عند السلف يقال لهم الجهمية، وبهذا تميزوا عند السلف عن سائر الطوائف.

وأما المعتزلة فامتازوا بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، لما أحدث ذلك عمرو بن عبيد، وكان هو وأصحابه يجلسون معتزلين للجماعة، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة، وكان ذلك بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية، وبعدهم حدثت الجهمية»[١].

**مواطن المعتزلة:**

منشأ المعتزلة من البصرة ثم بغداد ثم انتشرت في بلاد كثيرة.

**قال الملطي:** «فأما البلدان التي غلب عليها الاعتزال حتى لا يظهر فيها غير الاعتزال فعسكر مكرم من أرض الأهواز، والصيمرة، ومدينة بأرض فارس يقال لها جهرم وهراة،

---

(١) الفتاوى (١٤/٣٤٩، ٣٥٠).

واصطخر من أرض كرمان، نصفهم خوارج ونصفهم معتزلة، إلا أن الاعتزال أغلب عليهم»[١].

أما المعتزلة الزيدية فغالبهم في اليمن ولا يزالون.

وبعد تحول أصول المعتزلة إلى سائر الفرق انداح الاعتزال والتجهم في غالب بلاد المسلمين إلا القليل كالأندلس، فإنه لم يدخلها الاعتزال ولم يشتهر بها، فلم يكن لمذهب المعتزلة وجود في الأندلس إلى زمن ابن رشد الحفيد المتوفى سنة (٥٩٥هـ) يقول في الكشف عن مناهج الأدلة:

«وأما المعتزلة فإنه لم يصل إلينا في هذه الجزيرة من كتبهم شيء نقف منه على طرقهم التي سلكوها في هذا المعنى، ويشبه أن تكون طرقهم من جنس طرق الأشعرية»[٢].

**قلت:** صدق بل أخذت الأشعرية والماتريدية بكثير من أصول المعتزلة والجهمية ومناهجها كما سيأتي بيانه.

**وقال الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) في حديثه عن الواصلية من فرق المعتزلة:** «وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة في بلد إدريس بن عبدالله الحسني الذي خرج بالمغرب في أيام جعفر

---

(١) التنبيه والرد للملطي (٤٠).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٩٥، ١٩٦) (رشيد) ومناهج الأدلة (١٤٩، ١٥٠).

المنصور»[١].

وهذا يعني أن للمعتزلة وجوداً في القرن السادس؛ لأن الشهرستاني توفي سنة (٥٤٨هـ).

أما في عصرنا الحاضر، فإن المعتزلة تتمثل باتجاهات كثيرة ومتعددة، منها ما هو امتداد للقديم، كالزيدية والرافضة والخوارج والإباضية، ومنها ما هو يحمل شعارات جديدة كحزب التحرير والاتجاهات العقلانية والعصرانية، ومنها ما هو نزعات فردية. كما سيأتي بيانه في الفصل التالي.

* * *

---

(١) الملل والنحل (١/٤٦).

# المعتزلة في العصر الحديث
# أو (المدرسة العقلانية الحديثة)

المعتزلة بأصولها ومناهجها وعقائدها وآرائها ومواقفها تتمثل بفرق قديمة وجديدة، واتجاهات ونزعات قديمة وجديدة. وليست فرقة من الفرق التي ظهرت في التاريخ ثم اندثرت كما يتوهم البعض.

بل المتأمل لواقع الأمة اليوم يجد أن المعتزلة نشطت في السنوات الأخيرة نشاطاً ملحوظاً على ثلاثة محاور متساندة:

**المحور الأول:** من خلال الفرق القديمة التي لا تزال قائمة إلى اليوم، والتي إما أن تكون في أصلها ونشأتها من فرق المعتزلة الكبرى كالزيدية، أو دَخلها الاعتزال في مرحلة من مراحل تطورها كالرافضة والخوارج الإباضية، فقد دخلها الاعتزال منذ نهاية القرن الثاني والقرن الثالث وإلى اليوم، فقد تحولت هذه الفرق إلى مذهب المعتزلة والجهمية زيادة على بقائها على أصولها، أي أصول الرافضة والخوارج، كما ذكرت سابقاً.

**المحور الثاني:** ظهور مذهب المعتزلة من خلال أحزاب وجماعات جديدة اعتنقت مذهب المعتزلة واختارته من جديد وأبرزها (حزب التحرير) الذي انشق من جماعة الإخوان

المسلمين، وكذلك جماعة الترابي في السودان وغيرها، وهي كذلك تمخضت عن جماعة الإخوان المسلمين.

**المحور الثالث: الاتجاهات العقلانية والعصرانية والحداثية وغيرها**، وتوجد هذه الاتجاهات لدى كثير من المفكرين والأدباء والمثقفين والدعاة الحزبيين وغير الحزبيين.

وبدأت بذور هذه الاتجاهات في مدارس مختلفة تمثلت في روّاد كبار صارت لهم مدارس وتلاميذ نشروا الاتجاهات العقلانية بقوة ونشاط، ومن هؤلاء الروّاد: محمد عبده في مصر، والسير أحمد خان في الهند، ومحمد إقبال في باكستان والهند.

أما المحور الأول وهو الفرق القديمة المعاصرة فليس هذا مجال الحديث عنها؛ لأنها أفردت ببحوث مستقلة، فالرافضة أفردت لها حلقة مستقلة، أسأل الله أن ييسر إخراجها، أما الإباضية فقد تحدثت عنها ضمن كتاب (الخوارج) قديماً وحديثاً، وذكرت أنها أخذت بأصول المعتزلة والجهمية في كثير من أصول الاعتقاد، ولاسيما من القضايا الهامة مثل قولهم بخلق القرآن، وإنكارهم للرؤية، وإنكارهم للشفاعة، أما قولهم بتخليد مرتكب الكبيرة في النار إذا مات على كبيرته فهم أسبق في الذهاب إليه من المعتزلة.

وقد تعارف كثير من الباحثين في العصر الحديث على

تسمية الأحزاب والجماعات والاتجاهات الاعتزالية بالمدرسة العقلانية الحديثة، أو العصرانية، وقد يصفون أنفسهم ويصفهم غيرهم بأصحاب التجديد! ولذلك سأتحدث في هذا الفصل عن المعتزلة الجديدة تحت مسمى: (المدرسة العقلانية الحديثة)[١].

**وعليه.. فالمدرسة العقلانية الحديثة هي:**

* **تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين، التي تغالي في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين،** وتعطي العقل وأحكامه اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ.
* **والتي تذهب إلى تفسير الإسلام - في عقيدته وأصوله - تفسيراً عقلانياً مادياً،** أو فكرياً دون اعتبار لدلالات اللغة، وأصول الدين، ومفاهيم النصوص وعمل المسلمين وإجماعهم، ودون اعتبار لمناهج الدين التي رسمها السلف الصالح في التلقي والاستدلال والبيان والرد، والتي تمثل سبيل المؤمنين الذي توعد الله من خالفهُ.
* **والتي تذهب إلى تفسير الوحي والدين، والنبوات،**

---

(١) أعتذر للقرّاء الكرام أن هذا الفصل وما بعده مقتطع من كتاب لي آخر كتبته عن الاتجاهات (المدرسة) العقلانية الحديثة، لكني أدرجته هنا مع تغييرات طفيفة لأهميته ومناسبته الملحّة لهذه الحلقة.

والغيبيات، والمعجزات والقدر، على مقتضى المفاهيم العقلانية البشرية المحدودة، والكشوفات العلمية المحسوسة والنظريات الغربية المادية.

* والتي تدعو إلى التجديد والنظر في الإسلام ـ حسب مقتضيات العصر الحديث ـ عقائدياً، وفكرياً، وتشريعياً، وتاريخياً، إما بدعوى أن الإسلام يتطور كسائر الأنشطة البشرية عند بعضهم، أو ـ عند آخرين ـ ليساير الفكر الغربي والحياة الغربية المتقدمة، والمتمدنة، وإخضاعه للسيادة العقلانية المادية كما فعل الغرب بالكنيسة ودينها (المُحَرَّف). أو حسب اجتهادات البشر وأفكارهم ونزعاتهم ولو مع التحرر من النزعة الغربية كما عند بعض المفكرين.

ومنها تلك الاتجاهات التي دعت إلى فصل الدين عن الحياة، وعن الدولة وعن العلم، وعملت ـ ولا تزال تعمل ـ على تحقيق هذا الانفصام في حياتها وحياة الأمة العملية والعلمية. . وهي مع ذلك كله تدعي الإسلام، وأنها تؤمن بالله ورسوله.

**أما عن تسميتها مدرسة، فلأنه يجمعها الوصف والإطار العام لهذا المصطلح «مدرسة» فهي مدرسة من حيث:**

١ ـ وحدة أصولها.

٢ ـ وحدة منهجها.

٣ ـ وحدة أهدافها.

٤ ـ ارتباطها بمناهج المعتزلة وأصولها واتجاهاتها العقلانية الفلسفية.

كل ذلك على وجه العموم، إذ لا يعني هذا أنها تمثل وحدة متكاملة ومتشابهة، بكل خصائصها وجزئياتها بالمعنى الحرفي الدقيق.

**فهي كالمدرسة بالمفهوم التعليمي الشائع، التي تحوي مجموعات من الطلبة، حيث لا يلزم أن كل من فيها على مستوى واحد، وهدف واحد، واتجاه واحد، إنما يجمعهم المنهج العام والهدف العام للمدرسة**، ولا يمنع هذا أن يكون من بين أفرادها المنحرف الشديد الانحراف، والأقرب للاعتدال، وبينهما طرائق قددا، كما أنه من الممكن أن تحوي المدرسة العقلانية الحديثة مجموعات من الاتجاهات المذهبية والحزبية، والجماعات والفرق والطرق.

أي أنها حوت مجموعات من الإسلاميين، والصوفية، وأتباع الفرق والقوميين، والحزبيين، والاشتراكيين، والرأسماليين، والانتهازيين، والنفعيين، وسائر المنحرفين أفراداً وجماعات.

بل ربما حوت بعضاً من «المشايخ» ومن علماء الشريعة وطلاب العلم، وأساتذة الجامعات والمفكرين والمثقفين.

ومع ذلك كله يجمعها الوصف العام ـ كما قلت ـ

للمدرسة العقلانية وهو: أنها تعطي للعقل وأحكامه حق النظر في العقيدة وأصول الدين ومناهجه كلياً، أو جزئياً، حسب اتجاهات أفرادها. وهذا هو وجه تسميتها بالمدرسة العقلانية.

وأقصد بالحديثة، التي ظهرت في القرنين الأخيرين على وجه التقريب أي بعد اتجاه المسلمين نحو الغرب، وبعد وجود التأثير الغربي على العالم الإسلامي عبر الاحتلال والغزو الفكري، والتنصير، والعلمنة، والتغريب، والاستشراق.

**العلاقة بين المدرستين العقليتين ـ القديمة والحديثة:**

لست مبالغاً حينما أقول: بأن المدرسة العقلانية الحديثة إنما هي امتداد، أو على أقل تقدير تلتقي وتتفق في كثير من أصولها وآرائها مع الاتجاهات العقلانية القديمة، مع بعض الفروق الشكلية الطفيفة، فالمتأمل لهذه الاتجاهات، قديمها وحديثها، يجزم بأنها تشكل مجموعة واحدة، متشابهة ومتشابكة، وأن الحديثة امتداد طبيعي للقديمة، وبعض الاتجاهات العقلانية الحديثة يصرح بانتمائه للمعتزلة ويعتز بذلك ويدعو إليه، والبعض الآخر إنما يبدي إعجابه بالمعتزلة ويُحاذر من الانتماء إليهم، وآخر يأخذ بأصولهم ومع ذلك قد يتبرأ منهم.

وهذا التشابه نلمسه في جوانب عديدة في المدرستين في أصولهما ومناهجهما، وفي وسائلهما وغاياتهما، وأوضح جوانب التشابه يتجلى في إشادة رواد العقلانية الحديثة

بأساتذتهم رواد العقلية القديمة (المعتزلة والجهمية).

كما أن اهتمامات أكثر رواد الحديثة منصبة على إحياء الفرق القديمة، وتمجيدها، واقتفاء آثارها، والبكاء على أطلالها، والأخذ بمناهجها، وأصولها.

*** أما وحدة الأصول والأهداف فتتمثل جلية فيما يلي:**

١ ـ **اتفاق المدرستين على إكبار العقل، وتقديمه على النص فيما لا مجال للرأي فيه، وإخضاع الثاني للأول،** وما يتبع ذلك من تأويل النصوص وتحريفها أو ردها، وعدم التسليم لها، والمبالغة في رفع شعار الحرية الفكرية، وإن كان على حساب العقيدة الإلهية، أو على حساب نقض مناهج الدين وأصوله المعتمدة على الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٢ ـ **اتفاقهما في التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية عن الإسلام أو الميل إليها والإشادة بها،** فكما أن أصحاب الفرق القديمة تتلمذوا على اليهود والنصارى والصابئة واليونان والمجوس والوثنيين، فكذلك العقلانيون المحدثون تتلمذوا على المستشرقين والغربيين ورثة الفكر اليهودي والنصراني والوثني واليوناني، أو استمدوا مناهجهم وأساليبهم ومصطلحاتهم في الجملة، وإن كان بعضهم قد لا يكون كذلك لكنه لا يمثل الاتجاه العام.

٣ ـ استباحة الخوض في أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وليس للعقل قدرة على تصورها فضلاً عن الحكم عليها، وعدم احترام ما ورد بطريق الوحي في القرآن والسنة الصحيحة في بعض الأمور الغيبية، إنكاراً أو تكذيباً، أو تهكماً أو تشكيكاً، ومعارضة لما جاء به الوحي من الأمور التي يستحيل للعقل إدراك كنهها وحقائقها، ولا تخضع للتصور والاستقراء العقلي، ولا للتجارب الحسية والعلمية من أركان الدين وأصوله وقواعده وأحكامه وأخباره الثابتة، ومناهجه التي استمدها السلف من القرآن والسنة.

٤ ـ الاستهانة بأحكام الله وشرعه أو بعضها، وبالحلال والحرام، والأخلاق والتشريعات والعبادات، وعدم التسليم لله فيها، وذلك بالمعارضة والتبديل والتحريف، والزيادة والنقص، والاستهزاء بأحكام الله، والتشكيك في دينه، ومعارضة الأحكام بالرأي والخوض في المسائل الشرعية بغير فقه، وإن كانوا يظهرون الاعتزاز بالإسلام والانتصار له، والدفاع عنه، والعودة إليه، لكن من منظورهم هم، لا على السنة.

٥ ـ الجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة في العقيدة وأصول الإسلام، وإحياء النحل والمذاهب المنحرفة بين المسلمين، وتمجيدها والدعاية لها باسم التسامح الديني،

وحرية الفكر والاعتقاد، ولقد برزت القدرية المرجئة والجهمية والمعتزلة والرافضة قديماً من هذا المنطلق، ثم جاءت العقلانية الحديثة أيضاً تحيي من جديد تلك المذاهب والاتجاهات من هذا المنطلق، منطلق دعوى حرية الفكر والاعتقاد! وهذه هي شبهة الشيطان.. بل زادت العقلية الحديثة في تهورها، حيث أخذ بعض روادها بالدعوة إلى إحياء جميع الفرق، لغرض التوازن في بناء الفكر الجديد[1]؛ ورفعوا راية التقريب وإلغاء الفوارق بين أهل الحق (أهل السنة) وأهل الباطل (أهل البدع والأهواء والافتراق)، بل كثير من العقلانيين الآن انساق مع موجة التقارب بين الأديان، وما يسمىٰ بحوار الحضارات أو الجمع بين الديانات الكتابية (الإبراهيمية) كما يسميها الجارودي وأمثاله.

هذه من نتائج النزعة العقلانية التي لا تميز بين الحق والباطل، ولم تفقه قول الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]؟!

**٦ ـ واتفقت المدرستان على رد النصوص التي لا تناسب أهواءهم وأصولهم الفاسدة وعقولهم القاصرة، ويتمثل**

---

(١) راجع في سبيل السنة الإسلامية للمفكر التونسي (محجوب بن ميلاد) ص(٢٤، ٢٥).

ذلك في إنكارهم لحجية خبر الآحاد، بل والأحاديث الصحيحة والمتواترة إذا لم تناسب أذواقهم كما فعلوا تجاه أحاديث القدر والشفاعة، وحديث احتجاج موسى وآدم، وحديث الذباب، وحديث الافتراق، وأحاديث أشراط الساعة، فقد ردوا أحاديث نزول عيسى عليه السلام، والدجال، والمهدي، والدابة، وغير ذلك.

٧ ـ **كذلك يتفق الجميع ـ أصحاب الفرق القديمة والاتجاهات العقلانية الحديثة ـ على لمز السلف أهل السنة والتهوين من شأنهم، ورميهم بالتعصب وضيق التفكير والجهل، وأن الاتجاهات السلفية عقيمة**[١]، بالرغم من اعترافهم ـ جميعا ـ بأن أهل السنة هم أهل القرآن والحديث، بل إن العقلانيين يعيبونهم بهذا، ونعم الوصف وصفهم بالنصيين وأهل النقل، فهذه الأوصاف أطلقت على أهل السنة من قبل العقلانيين قديماً وحديثاً، بل وصل ببعضهم الأمر إلى إطلاق السلفيين على أهل السنة باعتباره مسبة[٢].. ووصفاً معيباً.

---

(١) راجع كتاب: (هذا هو الإسلام) لفاروق الدملوجي ص(٣٦، ٦٠)، وكتاب (الإسلام وتحديات العصر) للدكتور حسن صعب ص(٩٣)، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار (١/ ٢٨٥ ـ ٢٩٢)، وفلسفة العقل لعبدالستار الراوي ص(٥).

(٢) المصدر السابق (هذا هو الإسلام) ص(٢٢ ـ ٥٦)، ونشأة الفكر الفلسفي (١/ ٢٩١، ٢٩٢)، ومقدمة الكوثري على التنبيه والرد (٥ ـ ٧).

٨ ـ **الدعوة إلى تفسير القرآن والسنة، وتأويلها تأويلاً عقلانياً جديداً، حسب كل عصر، دون اعتبار تأويل السلف والصحابة، ودون التقيد بالمصطلحات الشرعية والقواعد والمناهج التي قام عليها الدين ومنهج السلف**، ودون النظر في دلالات اللغة للقرآن والسنة، والنزوع إلى الرموز والمجازات والتفسيرات الفلسفية، والصوفية[١]، والمادية، وهذا ما درج عليه فعلاً الصوفية والباطنية والشيعة والمعتزلة، ثم أصحاب الاتجاهات العقلانية الحديثة في هذا العصر.

كما أن كلا المدرستين تنزعان إلى التجديد والتغيير في أصول العقيدة، وأصول التشريع الثابتة، دون اعتبار لدلالات النصوص الواردة عن الله ورسوله، ودون اتباع لسبيل المؤمنين المتمثل في منهج السلف الصالح.

٩ ـ **اعتبار هزيمة الفرق المنحرفة في القديم والجديد، وانتصار أهل السنة، نكسة تاريخية وضرراً بالإسلام والمسلمين، وعاملاً من عوامل التخلف والجمود**[٢]، ولذلك نجد

---

(١) انظر: شبهات التغريب، لأنور الجندي ص(٣٦)، وراجع كتابي: (الله)، و(السر الأعظم)، لمصطفى محمود.

(٢) شبهات التغريب أيضًا ص(٣٤، ٣٦). ونشأة الفكر الفلسفي (١/ ٣١٢ ـ ٣٢٧)، وراجع ثورة الإسلام لأبي شادي ص(٤٨، ٤٩) وهذا هو الإسلام، =

هؤلاء العقلانيين ومن سلك سبيلهم ينفرون من الرد على أهل البدع والافتراق، ولا يطيقون تبديعهم والتحذير منهم، ويعدون ذلك من التفرقة والتعصب.

١٠ - **وأكثر ما تتبين العلاقة بين المدرستين في تمجيد رواد الاتجاهات العقلانية الحديثة للفرق المنحرفة القديمة وأسفهم عليها، والعمل على إحيائها، وارتباطهم الوثيق بتراثها**، وهذا ما سأثبته بهذه النصوص للتأكيد على أن العلاقة بين المدرستين الحديثة والقديمة، ليست علاقة تعاطف وتقارب فقط، بل إنها علاقة تلمذة وانتماء لا لفرقة فحسب، بل لأكثر الفرق الغابرة، حتى تلك الفرق الشاذة، كالقرامطة والحلولية، وإخوان الصفا.. أما الفرقة التي خُصَّت بالتأييد الفائق من أكثر رواد العقلية الحديثة، فهي المعتزلة، ولا غرو، فهي الفرقة التي رفعت لواء القداسة العقلية بتهور، واستوعبت كثيراً من آراء الفلاسفة وأهل الكلام من أعداء الرسل والوحي، قبل الإسلام وبعده! ثم إنها خلفت تراثاً عقلياً ضخماً متكاملاً تغلغل في صميم التراث الإسلامي، وشمل التفسير والأصول، والعقائد والحديث، وجميع جوانب العلوم الإسلامية، فهو يشكل بمجموعه رصيداً عظيماً

---

= للدملوجي ص(٣٩، ٥٢، ٦١).

للعقلية الحديثة، ثم إن المعتزلة من أقوى الفرق المنحرفة حماساً للإسلام ودفاعاً عنه، مما جعل البعض من رواد العقلية الحديثة يميل إليهم ميلاً عاطفياً أيضاً.

كما أن من أهم العوامل التي ربطت بعض الكتاب والمفكرين المسلمين المحدثين بالمعتزلة وغيرهم من الفرق: الجهل بالعقيدة الإسلامية.

**وهذه بعض النصوص التي تبين قوة العلاقة بين المدرستين العقليتين القديمة والحديثة.**

**قال فاروق الدملوجي في كتابه «هذا هو الإسلام»:** «والحقيقة أن رجال المعتزلة باستثناء المغالين منهم والمفرطين والمغرضين والضالين كانوا أحراراً في آرائهم وفي تأويلاتهم، فلم يقفوا عند حد، ولم يردعهم قيد، وحكموا العقل في جميع القضايا، وأولوا المنقولات كافة حسبما يقتضيه الزمن والحال، فقالوا كلمتهم المشهورة: إذا تعارض العقل والنقل وجب التأويل لما يقتضيه العقل، وكان جل مقصدهم تخليص الدين الإسلامي من التبلبل والفلسفة والمذاهب المتضاربة والمنتشرة في العالم الإسلامي كله، وجعل الديانة الإسلامية أكثر صفاء ومرونة، وأشد مراساً وحجة لتتوافق مع المقولات في كل عصر وزمان، ويهضمها الوجدان البشري، ويستسيغها الذوق في كل

وقت وآن[١].

تأمل هذا الخلط واللبس حيث صور البدعة وأهلها بالمرونة، وتخليص الدين، وأنها توافق الذوق والوجدان، وصور السنة بالعكس.

ويقول: «وكان الأشاعرة ومن تمذهب بمذهبهم من أهل السنة والجماعة يلعنون الفلاسفة والمعتزلة، وأهل الفكر ومن يذهب مذهبهم، ويحرقون كتبهم تقرباً للجمهور الجاهل وزلفى إلى الله.. وبهذه الطريقة النكرة انطفأت الآراء الحرة من رؤوس المفكرين، فكانت السبب في سقوط العالم الإسلامي من شاهق عزه ولم يزل منحدراً لا يرتقي»[٢].

وهكذا تكون مصادرة جهود الآخرين، والتقول عليهم.

«وشرع المعتزلة لأول مرة بالعالم الإسلامي في تحكيم العقل في جميع المسائل المفروضة عليهم، فأوّلوا نصوص القرآن تبعاً لما يقتضيه العقل والمنطق لا كما يريده الإلهيون والسلفيون، أصحاب المدرسة القديمة، وهم أهل السنة والجماعة والحنابلة والمتصوفة من الجمود والوقوف على حد اللفظ والنص وظاهر الشرع دون زيادة، أو نقصان، أو تأويل

---

(١) هذا هو الإسلام، فاروق الدملوجي ص(٤٩).

(٢) المصدر السابق ص(٦١).

أو تفسير»[١]، وهكذا يبرهن العقلانيون على جهلهم وتقوّلهم على أهل الحق.

«ولو كان قد انتشر الاعتزال في البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها لما حصلت هذه النكبات، ولو لم يحصل الارتجاع والانتكاس والجمود على المنقولات لكان العالم الإسلامي غير ما هو عليه اليوم»[٢].

**أقول:** وهل صارت النكبات على الأمة قديماً وحديثاً إلا بسبب ترك المسلمين للسنة ووقوع كثير منهم في البدع والأهواء، وبسبب بلبلة الفرق المفترقة وتشتيتها للأمة من الشيعة والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والجهمية وأهل الكلام؟!

**ويقول محجوب بن ميلاد في كتابه «في سبيل السنة الإسلامية»**: «ويكفي الاعتزال فخراً أن ضم في صفوفه شخصيات بارزة وعقولاً جبارة كواصل بن عطاء، وأبي الهذيل العلاف، والنظّام، وأبي علي الأسواري، وأبي يعقوب الشحام، وبشر بن المعتمر، والجاحظ، وأبي علي الجبائي

---

(١) المصدر السابق ص(٣٩). وتأمل قوله: (والحنابلة والمتصوفة). لتدرك جهل هذه الفئة بالعقيدة وبديهيات الأمور. فشتان بين الحنابلة (أهل السنة) والمتصوفة! ثم انظر كيف جعل الحنابلة غير أهل السنة؟!

(٢) المصدر السابق ص(٥٣).

شيخ أبي الحسن الأشعري، وأبي موسى المردار، وثمامة بن الأشرس، والجعفرين، وأبي الحسين الخياط، وابن القاسم البلخي، وابن فارس، والزمخشري وأمثالهم العديدين، فقد كان المعتزلة المحرك القوي، الذي أطعم التفسير الإسلامي وغذاه وبعث فيه حيوية رائعة، وأكسبه جرأة سطرت صفحات هي من أنفس صفحات التفكير الإسلامي، وأجرت ينابيع فكرية ماؤها من أصفى المياه وأعذبها»[(١)].

وهكذا يلاحظ القارئ كيف يفتخر هؤلاء بالاعتزال ورجاله مع أن الذين ذكر أسماءهم من أئمة الضلالة، فهم فعلاً شخصيات بارزة في البدعة والفرقة والاعتزال.

كما أن المؤلف (محجوب) يرى إحياء جميع الفرق معتزلة وشيعة وخوارج ومرجئة، وأن لكل منها أن يزعم أنه سني[(٢)].

**ويقول الدكتور أحمد زكي أبوشادي منوهاً ومعتزاً بإخوان الصفا**: «فإن أولئك الفضلاء الحكماء الذين ازدانت بهم المائة الرابعة من الهجرة كما ازدان بهم الإسلام، والذين اجتمعوا على القدس والطهارة على حد تعبير أبي حيان التوحيدي، تفتقت أذهانهم على روحانية الإسلام ورجاحته الحقيقيين

---

(١) في سبيل السنة الإسلامية، محجوب بن ميلاد ص(٩٣، ٩٤).
(٢) راجع ص(٢٤، ٢٥) المصدر السابق.

فصاحوا: إن الشريعة الإسلامية قد دنست بالجهالة، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة[١]..

واستمر يكيل المدح لهم ثم قال: «من العيب الفاضح بعد مرور هذه القرون الطويلة أن ننسى قدوتهم المثالية، والصورة النقية الرائعة التي رسموها للإسلام الصحيح من ناحيتي الفكر والسلوك. إن المسلم الحقيقي هو من آمن بالوصايا الأخلاقية السابقة الذكر، وقدسها وطبقها دون تذبذب»[٢] فإسلام إخوان الصفا الباطني الغنوصي، وإسلام المعتزلة الفلسفي اليوناني، هو الإسلام الصحيح عند هؤلاء!

**ويقول زهدي حسن جار الله في كتابه «المعتزلة»**: «واجب على كتاب العرب ورجال الفكر فيهم أن يوجهوا إلى المعتزلة جزءاً كبيراً من عنايتهم وجهودهم، ذلك بأن كتاب السنة الأقدمين بسبب كراهيتهم للاعتزال تحاملوا على المعتزلة ولم يذكروهم إلا مع التقبيح والتشنيع، فأعطونا عنهم فكرة سيئة وصورة مشوهة.. كما أن الكتاب المعاصرين لم يلتفتوا إليهم ولم يأبهوا لهم، فبقي المعتزلة محرومين من التقدير مفتقرين إلى من يظهر حقيقتهم، ويعطيهم المكانة اللائقة بهم في التاريخ.

---

(١) ثورة الإسلام، أحمد زكي أبوشادي ص(٤٨، ٤٩).
(٢) المصدر السابق ص(٤٩).

يضاف إلى هذا أن النهضة العربية الحديثة شبيهة في ظروفها وأحوالها بالنهضة العربية القديمة التي تلت الفتوح الإسلامية، والتي لعبت فيها المعتزلة دوراً خطيراً.. وإلا فلابد في نهضتنا هذه من ظهور روح الاعتزال أو لابد من إحياء تلك الروح.. ولهذا كان درس المعتزلة ضرورياً لنا وحيوياً»[(١)].

**قلت:** إنما كان دور المعتزلة إثارة الشكوك والشبهات والمراء والجدال في الدين، وتفريق الأمة واستعداء الشيطان عليها، والخوض فيما نهى الله عنه من الكلام في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله والغيبيات بمجرد الظنون والأوهام والتخرصات التي جلبوها عن الفلاسفة والأمم الهالكة.

ولم يقتصر رواد العقلانية الحديثة على الفرق المشهورة، فقد نبشوا عن حياة أصحاب الفسق والمجون واللهو والعبث، وأصحاب الفتك بالأعراض، كما فعل طه حسين في كتابه «حديث الأربعاء»[(٢)]، وأحمد أمين في «فجر الإسلام»[(٣)]،

---

(١) ص (ك)، من المقدمة كتاب المعتزلة، زهدي حسن جار الله.

(٢) راجع حديث الأربعاء (طبعة ١٩٦٥)، المجلد الأول ص(٢٦٠، ٢٨٣، ٣٠٥)، والمجلد الثاني ص(٤١ ـ ٥١، ٨٣، ١٤٩، ١٦٠، ١٨٨) على سبيل المثال لا الحصر.

(٣) انظر: فجر الإسلام ص(١٧٦ ـ ١٨٠).

وغيرهما. ليصوروا المجتمع الإسلامي في القرون الفاضلة مجتمعاً ماجناً لاهياً عابثاً، ليبلغوا بذلك غاية يسعون إليها.

أما الصوفية المنحرفة فهي عملياً لم تنقطع في صفوف الجهلة والدراويش والقبوريين وبعض المشايخ، أما العقلانيين فصلتهم بها حديثة وتتجلى في مؤلفات: مصطفى محمود الأخيرة[١]، وفلسفة محمد إقبال[٢]، وكتب عبدالحليم محمود[٣]، وخالد محمد خالد، ونحوهم.

والمتتبع لسير الاتجاهات العقلانية الحديثة، يدرك بوضوح أنها تتبنى إحياء أفكار وآراء الفرق القديمة، وتفعل ذلك في هذا الوقت الحرج من حياة الإمة الإسلامية، فقد أخذت عقائد تلك الفرق البدعية القديمة تنبعث من جديد، من خلال الاتجاهات العقلانية ومدارسها، وإصداراتها ومؤلفاتها، ونتيجة لهذه التأثيرات العقلانية نشأت أجيال من أبناء المسلمين لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، ولا من تاريخها إلا رسمه، فضلاً عن العقيدة الإسلامية، حتى صارت هذه الأجيال مهيأة

---

(١) راجع كتاب «السر الأعظم» حيث أشاد بأقطاب الصوفية الغالين في التصوف مثل: ابن عربي، وابن الفارض، وأبي العزايم.

(٢) راجع كتابه تجديد الفكر الديني، خاصة الفصلين الأول والثاني ص(٥ ـ ٧٥) ترجمة العقاد. . الطبعة الثانية (١٩٦٨).

(٣) راجع كتبه: أبومدين الغوث، التصوف ابن سينا، المدرسة الشاذلية الحديثة والسيد أحمد البدوي، وغيرها.

لتقبل الأفكار الضالة، والآراء المنحرفة، والمذاهب الهدامة، والانتماءات العقلانية الضالة من جديد، لشعورها بالفراغ العقائدي الذي تعانيه من جراء هذه التأثيرات العقلانية والعصرانية المغلفة بشعارات التجديد والتحديث والتطوير، ونحو ذلك من الشعارات الجوفاء التي جانبت مصدر السعادة وهو الوحي (القرآن والسنة ونهج السلف الصالح).

**الفروق بين المدرستين:**

ومع ذلك، فإنه من البديهي أن الباحث في تفصيلات الخصائص والمميزات لكلا المدرستين، سيجد هناك بعض الفروق والسمات التي تكون لإحداهما دون الأخرى، ويتضح ذلك عند المقارنة، ومن أهم هذه الفروق والسمات ما يلي:

**أولاً: الفرق العقلانية القديمة مع انحرافها فهي ألصق بالإسلام وأقرب إلى حقيقته، والإخلاص له (إن صح التعبير) بسبب معايشتها للمجتمع الإسلامي في القرون الفاضلة، التي هيمن فيها الإسلام نظاماً للحياة، وديناً للدولة، ورائداً للحضارة**، والدولة الإسلامية كانت سيدة العالم، فكان أولئك العقلانيون أكثر مجاملة ومداراة بين المسلمين، وكانت تلك الفرق بمثابة الشذوذ مقابل جمهور الأمة الذين هم على السنة، فكانت مضطرة للمجاملة والمسايرة لأهل السنة.

بينما نجد الأمر انعكس تماماً في العصور الحديثة،

فأصبحت قيادة البشرية مادياً وفكرياً قيادة وثنيَّة وملحدة تملك زمام التقدم المادي والنشاط الثقافي والفكري، والمسلمون هم المستضعفون، وقد وُضِع الإسلام في قفص الاتهام، دون محامين، فهو يحاكم محاكمة غير عادلة، مما جعل الاتجاهات الحديثة تكون أبعد عن الإسلام وأجهل بأصوله وأحكامه، وتستند في وجودها وهيمنتها إلى القوة المادية للحضارة الغربية، الوثنية القائمة، فأصبحت وكأنها الأصل بين المسلمين، وأصبح العقلانيون يتحدثون وكأنهم أئمة الدين وأصحاب الحل والعقد في الأمة، أو هكذا يتوهمون.

**ثانياً: الفرق العقلانية القديمة المتمثلة في المعتزلة انكشفت واتضح عوارها**، حتى ترسبت واضمحلت أو اندست بين فرق الخوارج والرافضة والشيعة، وغربلها التاريخ، وأصبحت تدرس ضمن بعض سلبيات وأخطاء الفرق الإسلامية، وعرفت بأصولها ومواقفها السلبية في المسلمين، أما الحديثة فهي في موقع أقوى، وتكاد تجعل أهل السنة في موقف المتهم، وتريد أن تسحب هذا الاتهام على الإسلام نفسه الآن، بل وتحاكمه.

فالاتجاهات العقلانية وإن انكشفت بعض الشيء لكنها لم تتبين حقيقتها لكثير من المسلمين بعد، لأن ذلك رهين بيقظة المسلمين إلى نهج السنة وسبيل السلف الصالح، وقد بدأت بوادرها بحمد الله في كل أصقاع الأرض.

**ثالثاً: العقلانية الحديثة استمدت تنظيمها ونشاطاتها من روافد جاهلية حديثة، لم تتيسر للفرق والاتجاهات العقلانية القديمة**، بسبب التفوق العلمي الحديث للغرب الجاهلي، هذه الروافد تتمثل في قوى منظمة، لا يستهان بها هي التنصير والاستعمار، والاستشراق، ومراكز القوى اليهودية والنصرانية العالمية، كالمحافل الماسونية، والمحافل الدولية، ومؤسسات الإعلام والنشر بمختلف صورها وأشكالها.

زد على هذا، الأوثان الحديثة التي برزت وتمخضت عنها حضارة السوء ـ الحضارة الغربية المادية ـ مثل شعارات الحرية المزعومة والتجرد، والبحث العلمي، والشك قبل اليقين، وإخضاع كل شيء للتجربة والمشاهدة، حتى قضايا الغيب! وما تبع ذلك من نظريات واتجاهات، قلبت المفاهيم والأفكار والأخلاق هناك.

كل هذه الأمور كان لها الأثر الأكبر في هذا الغرور والتعالي والتحكم، الذي تمارسه الاتجاهات العقلانية الحديثة، والتي تركزت في مراكز التوجيه الفكري، والتربوي، والسياسي والإعلامي في كثير من بلاد المسلمين، أو قل: في توجيه الحياة في غالب العالم الإسلامي، فأخذت تهدم أصول الإسلام في قلوب المسلمين وعقولهم.

**رابعاً: الاتجاهات العقلانية الحديثة تفوق القديمة في**

شعاراتها وإمكانياتها ووسائلها، فهي تحمل شعارات براقة وخادعة غير الأسماء القديمة التي تشوهت وأضحت مسبة.

فالشعارات الجديدة جذابة: كالحرية الفكرية والثقافية، والتجديد والتطوير، والتقدمية والتنوير، والمعاصرة والمسايرة، والتحرير والوطنية والقومية، والاشتراكية والعدالة، والإخاء، والمساواة والعالمية، والتسامح الديني... إلخ الشعارات الجوفاء الخادعة التي تستهوي المثقفين والمفكرين والشباب وأصحاب العواطف والدهماء الذين لم يتفقهوا في الدين، ولم يتحصنوا بالعقيدة السليمة.

بينما القديمة استقرت على أسماء تليق بها مثل: الاعتزال، والخروج، والرفض، والقرمطة، فلم تحظ بتلك الشعارات والأسماء الخادعة.

خامساً: أما رواد العقلانية الحديثة (المعتزلة الجدد) فهم يمثلون في الغالب مفكرين وأساتذة وموجهين في أكثر العلوم والمعارف في التربية، والأدب، والتاريخ، والاقتصاد، والعلوم التطبيقية والإنسانية، بل وبرز منهم في الآونة الأخيرة مشايخ ومفتون وأساتذة علوم شرعية(!) ودعاة وأصحاب رايات وشعارات إسلامية ينضوي تحت ألويتها فئام من شباب المسلمين.

وهذا بخلاف السابق، حيث كانت الريادة والقيادة في

**الغالب لأهل السنة**، فهم قادة التوجيه والعلم والجهاد، أما رواد العقلانية القديمة فقد عُرِفُوا بالشغب والفتن والمراء والجدل الفارغ، دون أن تكون لهم الهيمنة الكاملة إلا فترات وفرص قليلة، كما حدث أن المعتزلة تمكنت في الدولة العباسية لفترة قصيرة، ثم الفاطمية حكمت في مصر حتى جاء صلاح الدين وأحيا الجهاد، ثم القرامطة تسلطت في الجزيرة العربية بعض الوقت. وكانت تلك السنين التي تمكنت فيها المعتزلة من بعض شئون الدولة أو تسللت فيها الدولة الرافضية (القرامطة والعبيدية) كانت سني محن وفتن وفوضىٰ وبلاء على الأمة، والتاريخ شاهد بذلك.

وليس غريباً، ولا عجيباً أن تكون الفترات التي تمكنت فيها هذه الاتجاهات القديمة والحديثة من أنكد وأقسى الفترات على الإسلام والمسلمين في تاريخهم الطويل.

**سادساً: من أهم ما يميز الاتجاهات العقلانية الحديثة عن القديمة: كون الحديثة أكثر تماسكاً وتكافلاً من القديمة**، فالفرق القديمة غالباً ما تتعادى ويكفر بعضها بعضاً، حتى داخل الفرقة الواحدة، كما فعلت الفرق العشرين المعتزلة[١].

أما الحديثة فقد استفادت من التجربة، وجمعتها المصالح والغايات المشتركة، كما أن التأثير الأجنبي هو الذي يسيرها

---

(١) راجع الفرق بين الفرق للبغدادي ص(٩٣).

جميعاً نحو الهدف الواحد، وإن تباينت الوسائل والمنطلقات، وإن كانت تحمل من داخلها جميع عناصر الفُرقة والتباين، لكنها أدركت من خلال التجارب الماضية، أن المسلمين المتمسكين بالحق أهل السنة سيقفون لها بالمرصاد، فالتقت هذه الاتجاهات جميعها، وتناست ما بينها من تناقضات.

**سابعاً: ربما تكون العقلانية القديمة واجهت من التصدي والدفاع عن السنة بجهود أئمة السنة ما كان أكثر وأوفى وأقوى مما واجهته المعتزلة الجديدة.** لكن لا يعني ذلك أن الحق ليس له أنصار وحماة، فإنه لا يزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين، يحمون الحق ويدافعون الباطل لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم، كما وعد الله تعالى، وأخبر رسوله الصادق المصدوق ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة**»(١).

**وأخيراً:** فإنه مما ينبغي التنبه له أن المعتزلة الأوائل، والمعتزلة الجدد وكذلك كثير من أهل البدع والافتراق، فإنهم وإن كان فيهم مغرضون وزنادقة، إلا أن كثيرين منهم قد يقصدون نصر الإسلام، بل ربما أكثرهم يحتسب ذلك، لكنهم ضلوا الطريق وأخطأوا الجادة، وجانبوا السنة، إما عن جهل،

---

(١) أخرجه الحاكم عن ابن عمر وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (٧١٦٥).

أو هوى خالط مقاصدهم، أو تقصير منهم في اتباع الحق وأهله، أو عن تقليد أعمى، ونحو ذلك من أسباب الانحراف، فهم ـ والله أعلم ـ من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وحسن النية وسلامة المقصد ليس هو وحده الشرط لصحة العمل وقبوله وسلامته، بل لابد من اتباع السنة وإصابة الحق ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

* * *

## ملامح الاتجاهات الاعتزالية (العقلانية) في العصر الحديث

لا يتسع المقام لذكر الأقوال وإثبات النقول التي تابع فيها كثير من المعاصرين الاتجاه الاعتزالي الذي يقوم على إخضاع النصوص الثابتة للآراء الشخصية والأمزجة، أو ما يسمونه العقل، إذ العقل السليم من هذا الاتجاه بريء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام؛ لأن العقل خلق من خلق الله الضعيف المحدود، الذي لا طاقة له بالغيب، ولا اعتراض له على ما صحَّ عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، لكن القوم بهتوه وافتروا عليه حينما ردوا كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ باسم العقل والفكر والرأي والله حسيبهم.

فقد أنكر شيخهم الأول محمد عبده كثيراً من الغيبيات وأوَّلها باسم العقل، فقد تردد في نزول عيسى عليه السلام بين إنكار النصوص وبين تأويلها[١]، ونراه يعرف الوحي بتعريف عقلاني اعتزالي[٢]، ويزعم أن الطير الأبابيل هي وباء الجدري[٣]، كما أنه يؤول قصة آدم[٤]، وسجود الملائكة

---

(١) انظر: الأعمال الكاملة (٥/ ٣٢) والمنار (١٠/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٢) انظر: رسالة التوحيد (١٠٣).

(٣) انظر: تفسير جزء عم لمحمد عبده (١٥٥، ١٥٦).

(٤) راجع تفسير المنار (١/ ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣/ ٩٦، ٣٠٩).

له[١]، وخلق عيسى عليه السلام[٢]، فينكر أن تكون قصصاً حقيقية، وينكر حقيقة الجن والملائكة[٣].

وكذلك أنكر محمد عبده حقيقة الدجال وأوّله بأنه رمز الخرافة والدجل والقبائح[٤].

وتابعه مصطفى محمود ففسر الدجال بالتقدم المادي والمدنية الحديثة[٥]، وكذلك محمد أسد يرى أن الحضارة الغربية العوراء هي الدجال!.

كذلك توجه تلامذة محمد عبده إلى العقلانية الاعتزالية بشكل أقوى، فيذهب طه حسين وأحمد محمد خلف الله إلى أن القرآن اشتمل على الأساطير، وأنه يحدثنا بما لا يعقل في الواقع[٦]، ويذهب محمد البهي إلى إنكار حقيقة الجن[٧]، ومحمد حسين هيكل ينكر المعجزات[٨].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر: تفسير المنار (٣٧/١٣٧، ٣١٨).
(٥) رحلته من الشك إلى الإيمان (١٠٤، ١٠٥).
(٦) انظر: الفن القصصي في القرآن لخلف الله، وفي الشعر الجاهلي لطه حسين.
(٧) انظر تفسير سورة الجن له.
(٨) راجع حياة محمد (له) (٤٧ ـ ٤٩).

ثم يأتي جيل من أمثال أحمد زكي أبوشادي وحسن صعب وزكي مبارك فينال من الإيمان بالغيب تهكماً وتشكيكاً وإنكاراً[١].

كما نجد هذه النزعة الاعتزالية العقلانية عند أمثال الشيخ محمد الغزالي السقا، حيث أنكر أحاديث صحيحة لمجرد أنه يرى منافاتها للعقل أو للذوق ونحو ذلك، من ذلك: إنكاره لحديث: «**إن أبي وأباك في النار**»[٢] الوارد في صحيح مسلم وغيره.

ويرى أن الاقتداء بالرسول ﷺ في السنة العملية، في قيامه ﷺ وقعوده وطعامه وشرابه من هوامش السنة، وأمور شكلية هي أقرب إلى القشور[٣].

وطعن في كثير من الأحاديث الصحيحة على هذا المنوال مثل حديث: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله**»[٤]، وحديث: «**لا يقتل المسلم بكافر**»، وحديث شريك في الإسراء[٥]، وحديث:

---

(١) انظر: الإسلام وتحديات العصر لحسن صعب (١٦)، وثورة الإسلام لأبي شادي (٧٢، ٧٣).

(٢) انظر: مجلة الدعوة العدد (١١٨٢/٢) في شعبان (١٤٠٩) ص(٤٨).

(٣) المصدر السابق العدد (١١٨١) في (١٤٠٩/٧/٢٤). ص(٤٨).

(٤) انظر: كتابه السنة النبوية ص(١٦).

(٥) المصدر السابق ص(١٨).

«**إن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت**»[١]، وأحاديث الدجال[٢]، وحديث الذبابة[٣]، وحديث انشقاق القمر[٤]، وحديث توقف الشمس لأحد الأنبياء عليهم السلام[٥].

وهذا المنهج هو المنهج العقلاني الذي سلكته المعتزلة قديماً، وتسلكه الاتجاهات العصرانية الحديثة الآن.

* * *

---

(١) المصدر السابق ص(٢٢).

(٢) المصدر السابق ص(١٣٢).

(٣) راجع قذائف الحق (له) ص(١٢٥).

(٤) راجع الطريق من هنا (له) ص(٦٦).

(٥) راجع الطريق من هنا ص(٦٥)، وراجع في ذلك وغيره كتاب (كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها)، للدكتور ربيع بن هادي المدخلي.



# الفهــــرس

* * *